



جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم : العلوم الإنسانية

شعبة : التاريخ

الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في عهد المرابطين

(547.407 هـ / 1142.1018 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ
تخصص : تاريخ وحضارة المغرب الأوسط

إشراف الأستاذ :

عبد الجليل ملاح

إعداد الطالبة :

بوجلال حورية

اللجنة المناقشة:

أ.د/ طاهر بن علي رئيسا

أ/ عبد الجليل ملاح مشرفا ومقررا

أ/ بوعروة بكير عضوا مناقشا

الموسم الجامعي: 1434-1435 هـ / 2013-2014 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الإهداء الإهداء

إلى الذين قال الله سبحانه و تعالى في حقهما

❖ فلا تقل لهما أف و لا تنهرهما و قل لهما قولا

كريما و اخفض لهما جناح الذل من الرحمة

و قل ربى ارحمهما كما ربياني صغيرا ❖

صدق الله العظيم .

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما

والى زوجي العزيز الذي لم يبخل علي

بمساعدهاته و تشجيعاته و كان أفضل عون لي

في هذا المشوار،

وإلى جميع الإخوة و الأخوات و الصدقات.

كلمة شكر وتقدير

أتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "عبد الجليل ملاخ" الذي

تعهدني بالتوجيه المستمر وتحمل معي عناء انجاز هذه المذكرة.

كما أتقدم بالشكر إلى لجنة أعضاء المناقشة الذين شرفوني بمناقشة هذه

المذكرة ، كما لا أنسى أساتذة الماستر خاصة الأستاذ الدكتور " طاهر بن

علي " فجزأهم الله كل خير.

وكل من ساعدني من قريب أو بعيد على إتمام هذا العمل وأخص بالذكر

أساتذة شعبة التاريخ بالجامعة.

شرح المختصرات:

الرقم	المختصر	الكامل
01	تح	تحقيق
02	تر	ترجمة
03	تع	تعليق
04	تعرب	تعريب
05	مج	مجلد
06	ج	جزء
07	ص	صفحة
08	م	ميلادي
09	هـ	هجري

شهد المغرب الأوسط في بداية القرن الخامس الهجري، ظهور ثاني دولة إسلامية مستقلة عن الخلافة وهي الدولة الحمادية، التي تنسب إلى حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي الذي انفصل عن عمه باديس الزيري، وذلك بعد أن تم له القضاء علي تمرد قبيلة زناته غرب المغرب الأوسط متخذًا القلعة التي بناها قرب المسيلة عاصمة لدولته، ومنذ البداية اهتم بتحسين الأوضاع في الدولة.

أدرك الحماديون أن عزة الدولة تتحقق بقوة الاقتصاد فنشطوا الزراعة والصناعة وحتى التجارة، فتجلى بوضوح العامل الاقتصادي الذي عد عماد وقوة الدولة بل وإستمراريتها مدة تزيد عن القرن، من هنا جاء موضوع مذكرتي ورقة تضاف لخدمة تاريخ المغرب الأوسط وقد سميتها بـ:

" الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في عهد الحماديين "

(408 – 547 هـ / 1018 – 1142 م)

من خلال عنوان الدراسة، الذي يركز على الحياة الاقتصادية في المغرب الأوسط طيلة فترة الدولة الحمادية، ويتعرض لقطاعاته الأساسية التي تعد عماد الدولة، بل وجعلت الأمراء يهتمون بالتجارة الداخلية والخارجية، البرية منها والبحرية، حتى أصبحت بجاية مركزا وقطبا تجاريا تأتيه السفن من كل مكان والقوافل من أنحاء المغرب والصحراء وبلاد السودان.

أسباب اختيار الموضوع:

مثل هذه المواضيع لها أهمية، حيث يمكن من خلالها التعرف على حياة السكان في الفترة المدروسة، والتعرف علي مختلف جوانب أوضاعهم الاقتصادية، إلى جانب الطابع المميز التي تكتسيه مثل هذه

الدراسات، والتي تلزم على الباحث التحليل والمقارنة حتى يتمكن من الخروج باستنتاجات هامة حول الموضوع.

إشكالية البحث:

الإشكالية هي: إلى أي مدى اهتمت الدولة الحمادية بالجانب الاقتصادي؟ وهل اعتبر الاقتصاد عماد قوة الدولة واستمراريتها؟

ويمكن طرح تساؤلات فرعية أهمها :

✓ هل استطاع الحماديون تحقيق الازدهار في المجال الاقتصادي؟

✓ ما هي العوامل التي ساعدت على ازدهاره؟

✓ هل التجارة كانت نتيجة حتمية للزراعة والصناعة؟

شرح خطة البحث:

للإجابة على هذه التساؤلات تدرجت خطة بحثي على النحو التالي:

المدخل : تناولت فيه لمحة سياسية للدولة الحمادية في المغرب الأوسط والأوضاع الاقتصادية به

قبيل قيام الدولة الحمادية حيث وقفت فيه عند الفترة المدروسة للاطلاع على ما اعتراها من أحداث

تاريخية انطلاقا من معطياتها السياسية، مع المرور إلى دراسة الأوضاع الاقتصادية بالمغرب قبيل الفترة

المدروسة وهي نظرة عامة وشاملة عن اقتصاد المغرب الأوسط .

الفصل الأول: وعنوانه بـ: الزراعة في الدولة الحمادية تناولت فيه أهم قطاعات الزراعة، وأكثرها

انتشارا آنذاك كالزراعة بمختلف أنواعها بداية بالحبوب من قمح وشعير، كروم والزيتون، ومختلف الفواكه التي كانت منتشرة في مدن الدولة تم تطرقت فيه إلى نظام الري وأنواعه من انهار وعيون وآبار ثم العنصر الثالث في هذا الفصل هو تربية الحيوانات ودرست كل نوع على حدا واهم المدن التي كان موجودا بها، وختمنا الفصل بالصيد البحار في مدن الدولة.

الفصل الثاني : وسميته بـ: الصناعة في الدولة الحمادي ووقفت فيه عند أهم الصناعات في

الدولة بداية بالصناعة النسيجية ثم صناعة المعادن والفخار، كما فصلنا في لصناعات مختلفة في الدولة مثل صناعة العطور والخمر والحصر وصناعة الزجاج والسفن المنتشرة في مدن الدولة الحمادية.

الفصل الثالث: تحت عنوان التجارة في الدولة الحمادية تطرقت فيه لأنواع التجارة في الدولة،

كالداخلية مع المدن القريبة، والخارجية مع المناطق المجاورة للدولة والبعيدة منها، وقوفا عند أهم مراكزها ومحطاتها التجارية كما تطرقت لأهم ما يميز نظمها المالية من العملة والأسعار كما تحدثت في مختلف الأوزان والمكاييل التي كان التجار يستخدمونها في ذلك الوقت.

تقدمت هذه الفصول مقدمة وناخرتها خاتمة تضمنت أهم النتائج البحث المتوصل إليها في كل

فصل كما أجابت الخاتمة عن التساؤلات المطروحة في المقدمة وقد دعمت المذكرة بملاحق والتي هي عبارة عن صور وخرائط تخدم موضوع البحث.

المنهج المتبع:

المنهج المتبع الذي تناولته في هذا البحث هو المنهج التاريخي الوصفي وهو المناسب لسرد الأحداث، تحليلي في بعض الأحيان وهو الوقوف عند بعض المصادر القديمة المتصلة بموضوع الدراسة من كتب الرحالة والجغرافيون وكتب التاريخ المتصلة بموضوع البحث مقتبسا منها المادة بعد مقارنتها وتحليلها إلى جانب الاعتماد على المؤلفات الحديثة .

صعوبات البحث:

- من بين الصعوبات هي أحداث غرداية الأخيرة التي أثرت في صعوبة التنقل بين المكتبات الموجودة بها.
- بالإضافة واجهتني صعوبة أثناء عملي ألا وهي تشابه المعلومات في مصادر الجغرافيين.
- أيضا لكوني ربة منزل ومسؤولة عن أسرة، فقد أعاقني هذا قليلا فيما يخص التنقلات من أجل البحث عن المراجع والمصادر الضرورية لانجاز عملي في الوقت المحدد.

الدراسات السابقة:

وإذا كنت لا أستطيع أن أزعم بأنني قد أتيت في هذا البحث بكل جديد أو بما لم يأت به الأوائل فذلك لأنني اعتمدت على من سبقني وأخص بالذكر هنا الدكتور رشيد بورويبة الذي استفدت منه كثيرا من كتابه " الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها " بالإضافة إلى كتاب " دولة بني حماد " لكاتبه عبد الحليم عويس .

لكنني لم اکتف بما وجدته في هذه الكتب موزعا ومشتتا وإنما حاولت أن أجري عليه دراسة تركيبية تبرزه في صورة جيدة.

من واجب الاعتراف بالجميل والفضل أتقدم بجزيل الشکر إلى أستاذي المشرف الذي منحني الكثير من وقته وعمله، وتحمل عناء قراءة فصول هذه المذكرة وتصحيحها في وقت ضيق فجزاه الله عني خیر الجزاء.

المصادر والمراجع التي اعتمدها:

إن دراسة الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط في العهد الحمادي يتطلب من الباحث الوقوف مطولا عند المصادر المتصلة والمعاصرة لفترة البحث سواء كانت مصادر تاريخية أو جغرافية، ومن جملة المصادر التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة هي:

- كتاب " المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب " وهو جزء من أجزاء الكتاب المعروف بالمسالك والممالك لابن عبيد الله بن عبد العزيز البكري المتوفى سنة (478هـ/1113م) وقد نشره البارون دوسلان في باريس سنة 1965 م، كتابه من المصادر الجغرافية الهامة، ولقد وصف لنا بدقة أهم المزروعات والطرق التجارية والسلع الصادرة والواردة، كما وصف لنا المدن المغربية.

- كتاب " وصف إفريقيا الشمالية عن زهرة المشتاق في اختراق الآفاق " لأبي هبذ الله محمد الشريف المعروف بالإدريسي، المتوفى سنة (564هـ/1166م) وهو من المصادر الجغرافية المهمة لكونه

يحتوي على معلومات وافية عن الطرق البرية والبحرية والمراسي والمدن بالمغرب وأهم خصائصها وهي معلومات استقاها المؤلف من مشاهداته في رحلاته وأسفاره.

- " المعجب في تلخيص أخبار المغرب " لعبد الواحد بن علي التميمي المراكشي المتوفى سنة (612هـ/1224م)، وهو مصدر مهم.

- كتاب " العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهن من ذوي السلطان الأكبر " لعبد الرحمان بن خلدون (732-808هـ/1332-1406م) وهو كتاب مهم لأن صاحبه أدى دور هام في الشؤون السياسية بالمغرب، فكان كتابه هذا استنباطا من تجارته الخاصة أثناء عمله، وتحواله في خدمة الملوك والسلاطين وهو في سبعة أجزاء، اعتمدت على جزئيه 4 و 7 وكذلك المقدمة التي أفادتني في الفصل الثاني عندما تطرقت للصناعة في الدولة الحمادية.

- " أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يجري عن ذلك من الكلام " للسان الدين بن الخطيب (717 - 776هـ/1313 - 1374م) المؤرخ والوزير الغرناطي الشهير، وهو مؤلف مهم جدا مكون من ثلاث أقسام أهمها القسم الخاص بالمغرب الإسلامي (من الفتح الإسلامي إلى بداية عهد الموحدين) وحققه الأستاذان المغربيان أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني، نشر بالدار البيضاء سنة 1964 م.

- "صورة الأرض " لصاحبه المعروف بابن حوقل عاش في القرن الرابع للهجري، العاشر الميلادي، زار شمال إفريقيا والصحراء، وكتب مشاهداته.

2. المراجع:

- " الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها " لكاتبه رشيد بورويبة الذي عالج فيه تاريخ الدولة وحضارتها بالتفصيل واستقي معلوماته من مختلف المصادر
- " دولة بني حماد صفحة رائعة من تاريخ الجزائر " لكاتبه عبد الحليم عويس، طبع في بيروت وهو يغطي الفترة المدروسة، وقد تطرق فيه المؤلف إلى مختلف الأحداث التي عاشتها الدولة الحمادية.
- بالإضافة إلى هذه المصادر والمراجع وغيرها اعتمدت على العديد منها بالعربية وعدة رسائل جامعية إضافة إلى عدة مقالات عن الموضوع المدروس.

I. لمحة سياسية للدولة الحمادية في المغرب الأوسط:

الدولة الحمادية هي ثاني دولة إسلامية مستقلة ظهرت بالمغرب الأوسط¹ سنة 408هـ/1018م²، وهي تنسب إلى حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي³، حيث كان بلكين بن زيري بن مناد معيناً للفاطميين⁴ يوم تفاقمت ضدّهم ثورة صاحب الحمار⁵، واستطاع بلكين القضاء على هذه الثورات، فلما رحل المعز إلى مصر استخلف بلكين على إفريقيا والمغرب⁶، جعله على رأس أشير والمسيلة⁷، وأسس

¹ المغرب الأوسط: أطلقه الفاتحون المسلمون لفظ المغرب في القرن الأول الهجري، وقد قسم المسلمون في مصر والشام مغربنا الكبير حسب قربه وبعده عنهم إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، المغرب الأوسط يتوسط المغربين الأدنى والأقصى يشمل علي وسط الجزائر وغربه، وعلي جزء من المغرب الأقصى، وقاعدته تلمسان، وقد فتحت أجزاء منه في عهد أبي المهاجر دينار(55هـ/675م)، انظر: عبد الرحمان بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتب العلمية، ج7، بيروت، 2003، ص3. ابن حزم الأندلسي: جمهرة انساب العرب، تح عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر، 1962. محمد علي دبو: تاريخ المغرب الكبير، ج1، ط2، مؤسسة تالوت الثقافية، ص12. احمد مختار العبادي: في تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ص9.

² عادل النويهض: معجم أعلام الجزائر، من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، مؤسسة النويهض الثقافية، ط2، لبنان، 1980، ص258.

³ بلكين بن حماد هو مؤسس الدولة الحمادية وكان حماد بن بلكين الرابع في ترتيب أبناء بلكين، وهو أول أمراء هذه الأسرة.

⁴ عن الدولة الفاطمية انظر: أبو عبد الله محمد الصنهاجي: أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تح جلول البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984. الداعي إدريس عماد الدين: تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تح محمد العلاوي، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.

⁵ صاحب الحمار هو أبو يزيد مخلد بن كيداد إلفرني قاد ثور ضد الفاطميين كادت أن تطيح بالدولة، ودفعها للاختيار. لتوسع انظر: أبو زكريا: سير الأئمة وأخبارهم، ص116-122. ابن خلدون: العبر، المصدر نفسه، ج4، ص52-55.

⁶ فرحات الدشاوي: الخلافة الفاطمية بالمغرب، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1994، ص404.

حماد الصنهاجي مدينة القلعة¹ سنة 398هـ²، وكان حماد قد قطع الخطبة للفاطميين وجعلها للعباسيين سنة 387هـ³، فقاتله المعز بن باديس وحاصره بالقلعة وأشير⁴، مال حماد بعد هذه الواقعة إلى السلم و أرسل إلى المعز يعرض عليه طاعته فتم الصلح بينهما واستبقى المعز حماد على ملكه السابق، وابتداء من 408هـ تفرعت صنهاجة إلى دولتين: الدولة الزييرية⁵ التي حكمت في إفريقية⁶، والدولة الحمادية تولت الحكم في المغرب الأوسط

I. 1 أمراء الدولة:

يعد حماد بن بلكين بن زيري الصنهاجي أول أمراء الدولة، وهو من أسسها ووضع أسسها وقواعدها الأولى، لقد نشأ حماد في بيت الخلافة الفاطمية⁷، ويقول لسان الدين الخطيب أن حماد "كان نسيج وحده وفريد دهره، وفحل قومه، ملكا كبيرا، وشجاعا صارما.

¹ أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، دار المعارف، ط2 الجزائر، 1963، ص 27.

² نور الدين عبد القادر: صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها الى انتهاء العهد التركي، نشر كلية الآداب الجزائرية، ط2، 1965.

³ محمد شيت الخطاب : قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، ط7، 1984، ص230، أنظر: عادل نويهض : نفسه، ص 258.

⁴ عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار العرب الإسلامي، ط1، 1997، ص 37.

⁵ عن الدولة الزييرية انظر: ابن خلدون: المصدر السابق، ج11، ص317.334.

⁶ أحمد الرفاعي : كتامة والحضارة الفاطمية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 72.

⁷ عبد الفتاح مقلد الغنيمي : موسوعة المغرب العربي، مكتبة مديولي، القاهرة، ص 268.

لقد قرأ الفقه بالقيروان وناظر في كتب الجدل وأخباره المشهورة، وهو الذي بني القلعة¹...². في البداية كانت العاصمة هي القلعة³، ثم انتقلت إلى بجاية في عهد الناصر بن علناس وسميت بالناصرية، بعد وفاة حماد خلفه ابنه القائد بن حماد (419-446هـ/1028م-1054م)، تميزت فترة حكمه بالاستقرار، وكان القائد سديد الرأي، عظيم القدر، وبعد وفاة القائد خلفه ابنه المحسن ابن القائد⁴ (446-447هـ/1054-1055م)، حسب ابن خلدون كان المحسن جبارا حيث قتل جميع أولاد عمه محمد بن حماد⁵، واستطاع محسن أن يقتل أربعة من عمومته⁶، ولم يسلم إلا بلكين بن محمد بن حماد الفرار الذي استطاع أن ينتقم من محسن وقتله بعد تسعة أشهر من ولايته وعاد إلى القلعة وملكها. و تولى بلكين بن محمد بن حماد بن بلكين (446-454هـ/1055-1062م)، الملك بعده، وكان بلكين شهما وحازما شجاعا، سفاكا للدماء⁷ وقال عنه لسان الدين بن الخطيب : "كان بلكين

¹ القلعة: هي مدينة متوسطة لها قلعة كبيرة تقع علي جبل،هي قاعدة بني حماد،أي بلكين بن زيري هو أول من بناها في حدود سنة 398 للتحصين، وهي قرية من أشير، بما البساتين والأشجار. ياقوت الحموي: المصر السابق، مج4، ص390 .

² لسان الدين بن الخطيب : أعمال الأعلام، تح وتعد أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، نشر وتوزيع دار الكتاب، ج3، الدار البيضاء، 1964، ص86.

³ بيروم كمال : بلدية المسيلة المختلطة، دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1984-1985، مذكرة ماجستير في تاريخ البحر المتوسط، إشراف حداد مصطفى، 2005. 2006. ص28، أنظر: أنور الجندي : صلاة العصر في قلعة بني حماد، مجلة الأوصال الجزائرية، تصدرها وزارة التعليم العالي، قسنطينة 1976، ص146.

⁴ ابن الخطيب: المصدر نفسه، ص86-87.

⁵ ابن خلدون: المصدر السابق، ص172.

⁶ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، دار صادر للطبع والنشر، بيروت، ح9، 1966، ص601.

⁷ محمد مبارك الميلي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج2، الجزائر، 1976، ص613.

أحد جبابرة الإسلام"¹، وقد بلغ بلكين من الغلظة والجفاء من قومه، وكان من بين هؤلاء الذين قتلهم زوجة أخيه وهي ابنة عمه أخت الناصر بن علناس، الذي حقد عليه وأراد الانتقام منه²، واستطاع قتله وتولى الناصر بن علناس الحكم (454-461هـ/1062-1088م)، وعرف عهده بنوع من الاستقرار واستطاع أن يوسع رقعتها الجغرافية، ولكن ساءت بينه وبين ابن عمه الزيري ابن تميم، بسبب تدخل هذا الأخير في شؤون إفريقية³، وفي عهد الناصر وفدت قبائل العرب إلى المغرب الأوسط⁴، فكانت سياسته معهم هي سياسة التفريق عن طريق التحالف مع بعضها، ويبدو أن الناصر قد عمق صلته بقبيلة الأثيج⁵، وحاول كسبهم⁶ ولكن بني هلال سرعان ما انقلبوا عليه وفر الناصر من القلعة إلى بجاية⁷، القلعة التي كانت نقطة ارتكاز الدولة وعاصمة لها ولكن دورها بعد بجاية أصبح ثانوياً⁸، هؤلاء الأمراء

¹ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص 69.

² عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ج1، الجزائر، ص 280.

³ عبد الحميد زغلول: تاريخ المغرب القديم، الفاطميون وبنو زيري والصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين، منشأة المعارف، الإسكندرية، ج3، 1990، ص 451.

⁴ مؤلف مجهول: الإستبصار في عجائب الأمصار، تع عبد الحميد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1996، ص 6.

⁵ الأثيج أوفر قبائل بني هلال عددا وأكثرها بطونا، ابن خلدون: المصدر السابق، ص 30.

⁶ عبد الحليم عويس: دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، ط1، بيروت، 1980، ص 112.

⁷ بجاية: هي مدينة علي ساحل البحر، أول من اختطها هو الناصر بن علناس بن حماد بن زيري في سنة 457، وتسمى الناصرية. الحموي: المصدر السابق، مج1، ص 339. لتوسع انظر

Karichi Amina. La sauvegarde et Laréuti listion des monuments du système défensif de La Ville de Bejaia. Université TIZ-OUZOU.2011 p62-63.

⁸ الهادي روجي إدريس: تاريخ إفريقيا في عهد بن زيري من القرن 10 إلى 12 م، تر حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ج2، ط1، بيروت، لبنان، ص 100.

بداية من بلكين بن حماد إلى الناصر بن علناس تعرف مرحلتهم بالقوة والصراع الدائم مع جيرانهم لكن مع المنصور بن الناصر الذي تولى بعد أبيه الحكم ثم باديس بن المنصور والعزیز بن المنصور¹، عرفت مرحلتهم بالاستقرار والإبداع الحضاري، حيث تألق المنصور في الحكم، أما باديس فلم يبق طويلا في الحكم²، وبعد وفاة العزيز بن المنصور سنة 515هـ، تولى يحيى ابنه الحكم بعده³، وفي عهد هذا الأخير بدأت الدولة تدخل مرحلة القابلية للانحيار. كما أسس الحماديون دولة تشمل تقريبا كل بلاد الجزائر حاليا وكانت دولة بربرية صنهاجية⁴، نظام حكمها وراثي، امتازت بقوة شخصية مؤسسها.

II. الأوضاع الاقتصادية بالمغرب قبيل الدولة الحمادية :

خرجت الدولة الحمادية عن أحضان الدولة الزيرية، هذه الأخيرة كانت وريثة الدولة الفاطمية، التي من بداية دخولها إلى المغرب كانت ترمي إلى أهداف بعيدة. فقد كانوا يدركون أهمية بلاد المغرب الاقتصادية، لو حسن استغلالها بسبب خصوبة تربته ومناخه الملائم، بالإضافة إلى مياهه الوفيرة، وقوته البشرية فانتهجوا سياسة في هذا المجال تختلف عن سابقهم، فهم قد أوجدوا ضرائب جديدة، وأعطوا الضرائب الشرعية مثل الغنيمة تفسيرا خاصا بهم مستندين إلى قواعد شرعية واعتمدوا الحزم والصرامة

¹ أمراء الدولة الحمادية بالترتيب، أنظر الملحق رقم 2.

² ابن بسام الشنتيني : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تح إحسان عباس، دار الثقافة، مج1، بيروت، 1997، ص 189. وأنظر: محمد عبد الله عنان: عصر المرابطين والموحدين، مصر، ص 281.

³ أحمد السعيد سليمان: تاريخ الدول الإسلامية، مصر 1969، ص 48.

⁴ رابح بونار: المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1968، ص 188.

أساسا في سياستهم، إلا أن هذه السياسة واستعمال هذا الأسلوب لا ينم عن ظلم بقدر ما ينم عن رغبة الأمراء في ضبط الأمور والجد في العمل، ومن أجل ذلك أقاموا دواوين متعددة ومتخصصة، فجعلوا ديوانا للخراج وديوانا للضياع وآخر للمظلم، وفوق كل هذا كان الفاطميون يبتون عيونهم على ولايتهم وعملائهم في كل مكان، كما أنهم كانوا لا يتساحون في أمر فرضوه ولا يؤجلون.

كان حزم الفاطميين وتشددهم في جباية الأموال مدعاة ووصفهم بالظلم، ووصية المعز إلى بلكين حين عزم على الرحيل إلى مصر توحى بهذا الوصف، ومما جاء فيها : "لا ترفع الجباية عن أهل البادية..."¹

كما كان الفاطميين حريصين على فرض حياة الاستقرار على القبائل للاستفادة من طاقتها البشرية في إصلاح الأرض واستغلالها، وحريصين على حث الفلاحين على زيادة إنتاجهم وبالتالي زيادة دخل الدولة وربما في إطار هذا الباب تم إحياء مدن وبناء أخرى جديدة في العهد الفاطمي. كان لهذه السياسة نتائجها وثمارها فاشتهرت بلاد المغرب الأوسط ببساتينها وحقولها وزراعتها المختلفة وقد أشار ابن حوقل "إلى أن ما حاد إفريقية إلى آخر عمال طنجة² بلاد مسكونة ومدن متصلة البساتين والمزارع

¹ ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تح وتعد محمد شمام، تونس، 1967، ص 57.

² طنجة: مدينة علي الساحل المغربي، مقابلة للجزيرة الخضراء، وبينها وبين سبتة مسيرة يوم واحد. ياقوت الحموي: المصدر السابق، مج4، ص43.

والضياع والمياه" ¹ ناهيك عن الأموال التي تكدست في خزائن الدولة والتي ظهر منها محملا مع الفاطميين إلى مصر.

لقد سيطرت الدولة الفاطمية على المغرب طوال عهدها فيه، فشهد استقرارا سياسيا وتطورا اقتصاديا وثقافيا، الأمر الذي دفع بسلاطين الدولة إلى تشجيع التجارة الداخلية والخارجية، فقد كانت القيروان أنشط مركز للتبادل التجاري، وكذلك بجاية مدينة الفاطميين التي ستصبح مدينة بني حماد.

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 83.

أولاً. الزراعة في الدولة الحمادية:

تعتبر الزراعة من أهم الموارد الاقتصادية لأي دولة، فهي المصدر الأساسي للمعيشة وهي المواد الأولية لتنشيط الصناعة النباتية.

ولقد أجمع المؤرخون ومعظم الجغرافيين مثل الإدريسي والبكري، علي أن المغرب الأوسط خلال هذه الفترة عرف نهضة اقتصادية خلال العصر الحمادي، وذلك يعود لعدة أسباب منها خصوبة التربة والأمن والاستقرار.

والزراعة عدة فروع، الفلاحة والري ونظم الري والحيوانات وحتى الصيد البحري، فهي تعد الأعمدة الأساسية لهذا القطاع. فكيف كانت الفلاحة وما هي أنواعها؟ وما هي نظم الري التي استعملها السكان؟ وما هي حيواناتهم؟ وهل كانوا مهتمين بالصيد؟

هذا ما سنعالجه في هذا الفصل بإذن الله تعالى.

I. الفلاحة:

تعددت ألوان النشاط الفلاحي في المجتمع الحمادي وتعددت المحاصيل التي ينتجونها¹، بدليل انتشار المزارع والبساتين في مختلف المناطق من الدولة، فما يبدأ جغرافي عند ذكره لمنطقة من المناطق إلا ويشير إلى انتشار المزارع والبساتين. وهذا لا يدل إلا على الوفرة والازدهار. كل هذا بفضل اهتمام السكان والحكام على حد سواء. ونظرا لكثرة الشواهد نكتفي بذكر بعضها فقط، بذكر البكري²: " إن كل من قزرونة ومتيحة³، كانتا كثيرتا البساتين والمزارع ..."، أما الإدريسي فيذكر هو الآخر " إن كل من الشلف، مازونة، تلمسان، كانت ذات زروع وبساتين كثيرة"⁴.

لقد تنوعت المحاصيل الزراعية بالدولة الحمادية، وأصبحت معظمها مكتفية ذاتيا من حيث غذائها، واختلفت من منطقة إلى أخرى، فالمناطق الشمالية اختلفت محاصيلها عن المناطق الجنوبية من الدولة، فهذه الأخيرة كانت مشتهرة بزراعة النخيل والزيتون وأصناف الثمار، وهذا ما ذكره البكري، أما المناطق الشمالية فكانت تشتهر هي الأخرى بزراعة الحبوب خصوصا مثل: القمح والشعير اللذان كانا يشكلان الإنتاج الأساسي للسكان.

¹ عبد الحميد حاجيات: كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 156.

² البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، لجزائر، 1957، ص 71 .

³ متيحة : بناها بني حماد، بلدة جميلة وقديمة وهي مدينة على نهر كبير ولها مزارع ومسارح. الحموي، المصدر السابق، ص 53.

⁴ الإدريسي: وصف إفريقية، مطبعة بريل، لندن، 1968، ص 87.

I..1 الحبوب:

كان الحماديون يهتمون بزراعة القمح والشعير، كما أسلفنا الذكر، أنهما يمثلان الغذاء الأساسي

لسكان الدولة. وأهم هذه الحبوب هي القمح والشعير.

يعتبر كل من القمح والشعير مادتين غذائيتين موجودتين في المغرب الأوسط من القديم، وكانا

يزرعان في دولة بني حمادي في نواحي قسنطينة، وقلعة بني حماد، طينة¹ وبونه²، جيجل، سطيف، بجاية،

متيحة وتنس³، شرشال، وباغاية⁴ إلى غيرها من المدن⁵.

ومما له دلالة على ازدهار زراعة الحبوب أن بعض المناطق كانت تزرع فيها المحصول مرتين في

العام¹، وذلك لتوفر كل الضروريات التي تتطلبها، وكان الحكام يشجعون الفلاحين، كما أن السكان

كانوا يخزنون الحبوب لوفرتها لمدة طويلة دون أن تفسد.

¹ طينة : هي مدينة على ضفة الزاب، فتحها موسى بن النصير. الحموي، المصدر السابق، ص 21.

² بونة : مدينة بين مرسى الخرز والجزائر، وهي مدينة حصينة كثيرة البساتين والمزارع. نفسه، ص 404.

³ باغاية: مدينة كبيرة تقع بين مجانة وقسنطينة. نفسه، ص 335.

⁴ رشيد بورية: الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 129.

⁵ البكري: المغرب، المصدر السابق، ص 92.

⁶ الإدريسي وصف، المصدر السابق، ص 166.

الإدريسي² ذكر " بأن أهل قسنطينة يحنون الحنطة في مطامير وتبقى سليمة لا تفسد" وما يؤكد كلام، الإدريسي هو أن لوسيان قولفين عشر أثناء حفرياتة بقلعة بني حماد على مطامير كثيرة³.

وعلى قول الإدريسي⁴ أيضا كان لأهل شرشال "زراعة الحنطة والشعير ما يزيد على الحاجة"، ومن كل هذا يظهر لنا جليا ازدهار ووفرة الحبوب في مدن دولة بني حماد، ولكن نشير هنا أن البكري لم يشر كثيرا إلى مادة القمح والشعير، ولم يفصل فيهما بالرغم من أنه ذكر بلاد المغرب الأوسط كان كثير الزروع، بخلاف الإدريسي الذي نبهه أكثر دقة ووفرة المعلومات المتعلقة بالقمح والشعير في المغرب الأوسط خلال العصر الحمادي . كما نجد بجاية عاشت ازدهارا زراعيًا بالرغم من ضرر الهلاليين⁵ في الفترات الأخيرة من عهد الدولة، إلا أنها هي حافظت على ازدهارها، وظلت تنتج القمح.

وعن القمح والشعير أيضا يستكمل الإدريسي الذي أمتاز بدقة المعلومات حيث قال: "بأنه في كل من قرية أزكو وقرية النهريين كانت بها غلاة من القمح والشعير"،⁶ نلاحظ أن المدن الحمادية كانت غنية جدا بالحبوب خاصة القمح والشعير.

1 الإدريسي: وصف، المصدر السابق، ص166.

³ لوسيان قولفين نقلا عن رشيد بورية: المرجع السابق، ص130.

⁴ الإدريسي: وصف، المصدر السابق، ص 61.

⁵ الهلاليين قبائل عربية بدوية أرسلها الفاطميون للمغرب لتخريبه للانتقام من الحماديين الذي أعلنوا الانفصال عنهم.

⁶ الإدريسي، نفسه، ص 196-197.

I. 2 الكروم :

لقد كانت زراعة الكروم هي الأخرى متوفرة في المدن، كغذاء للسكان وكانت زراعته موجودة في كل من الغدير¹، نقاوس²، طولقة، القل، جيغل والخضراء³، وقرية بني وازلفن⁴ وشرشال، ولقد ذكر صاحب كتاب الاستبصار⁵: " أن عنب جيغل كان يحمل إلى بجاية " ويدل هذا على وفرة الكروم بالمدن المختلفة من الدولة وأنها تصدر وتحمل إلى المدن التي توجد فيها وهذا لا يدل إلا على وفرة، وازدهار هذا المحصول .

I. 3 الزيتون:

لقد احتلت بجاية المكانة الكبرى والأولى في إنتاج الزيتون، ولقد اشتهرت بلاد القبائل بأشجار الزيتون أكثر من غيرها، وهي حتى الآن تشتهر بذلك. فكانت قرى بجاية تنتج كميات كثيرة من

¹ الغدير: مدينة تبعد عن المسيلة باثني عشر ميلا. الحموي، المصدر السابق، مج4، ص188.

² نقاوس : مدينة صغيرة حصينة على نهر صغير كثيرة المزارع. حوقل، المصدر السابق ص 66.

³ الخضراء هي عين الدفلة حاليا. نفسه، ص

⁴ بنووازلفن : قرية كبيرة لها كروم كثيرة معظمها على نهر الشلف. الحموي، نفسه، مج1، ص501

⁵ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص 18.

الزيتون، حيث كان لكل قرية معاصرهما التي تعصر الزيتون وتحوله إلى زيت¹، فقد كان معظمها تتوفر على هذا المنتج حتى أنها كانت تحمله إلى المدن المجاورة لها، وهذا لا يدل إلا على اهتمام سكان القبائل به. كما نجد أيضا أشجار الزيتون في كل من بسكرة وطولقة وبنطيسوس⁷.

I. 4 الفواكه:

لقد كان المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي غنيا بالفواكه بمختلف أنواعها، وهذا بشهادة معظم المصادر، ولكن اقتصرنا على ذكر الفواكه بدون أن يفيدينا بأسماء الأنواع المزروعة إلا نادرا مثل: التين، السفرجل، الجوز، اللوز، التفاح². وتخصصت كل مدينة بإنتاج أنواع خاصة من الفواكه، فنجد التمر في كل من بسكرة، طولقة، طبنة ونقاوس. أما التين فهو مزروع في نواحي بجاية وشرشال ومرسى الدجاج³ وتاجنة⁴، فذكر الإدريسي⁵ أن بتاجنة: "شجر التين كثير جدا" ولوفرتهما كانت تحمل منها إلى مختلف الأقطار. أما السفرجل كان موجودا في كل من تنس وشرشال وتاهرت والخضراء، ويذكر

⁶ عبد الحميد حاجيات: المرجع السابق، ص 156.

² رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 131.

² مرسى الدجاج: مدينة بينها وبين أشير أربعة أيام، وهي مدينة أحاط بها البحر من ثلاث جهات. الحموي، المصدر السابق، مج5، ص106.

⁴ تاجنة: مدينة صغيرة تقع بين مدينة التنس وسوق إبراهيم. نفسه، مج2، ص5.

⁵ الإدريسي: وصف، المصدر السابق، ص 56-57.

الإدريسي: "أن بمدينة الخضراء من السفرجل كل بديع"، وأنه: "بتنس من السفرجل الطيب المعتق ما يفوق الوصف في صفته وكثرة حسنه"¹.

أما الجور فقد كانت كل من بجاية، جيغل، تنس، سطيف ونقاوس تشتهر بزراعته وخاصة مدينة نقاوس، وهذا على قول "صاحب الاستبصار" "ولوفرته كان يحمل لمختلف مدن بني حماد، كان يحمل إلى قلعة بني حماد وإلى أكثر تلك البلاد"². كما نجد اللوز والتفاح موجودين في نقاوس وجيغل³.

II. الري:

لقد كان معظم السكان يعتمدون على الأمطار في ري مزروعاتهم، والجدير بالملاحظة أن أمطار السماء متذبذبة، فقد تهطل بغزارة في أعوام، وتبخل السماء بمطرها في أعوام أخرى، فيكون القحط والجفاف، وقد كانت الحياة الاقتصادية تتأرجح وفق تأرجح الأمطار. فبدأ الفلاحون لا يعتمدون كل الاعتماد على الأمطار، بل اعتمدوا أيضا على مياه الأنهار والوديان والأعين والآبار

II.1. الأنهار: .

¹ الإدريسي، المصدر السابق، ص 57. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 51.

² الإدريسي، نفسه، ص 57.

³ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص 121. الحموي: المصدر السابق، ح2، ص433.

. نهر الشلف: وصفه اليعقوبي بأنه "عليه قرى وعمارة يفيض كما يفيض نيل مصر"¹، وتقوم عليه عدة مدن أهمها: الشلف، مدينة بني وازلفن.

نهر التافنة: وصفه صاحب "كتاب الاستبصار" بأنه "نهر كبير تدخل فيه السفن"².

واد الصومام: يذكر الإدريسي بخصوص بجاية أنها "على بعد ميل منها نهر يأتيها من جهة المغرب"، ويضيف صاحب "كتاب الاستبصار" أنه "عليه كثير من حياتهم"³. ويذكر ابن حوقل أن مليانة⁴ لها أريحية على نهرها⁵. وذكر الإدريسي: "لها نهر يسقي أكثر مزارعها"⁶. لقد كانت مدن المغرب الأوسط تزخر بأثمارها ووديانها مما أدت إلى خصوبة تربتها ونشاط زراعتها

II. 2 العيون: لقد كانت العيون منتشرة في أنحاء البلاد، وهي التي كانت تستعمل في الزراعة ونذكر منها تلك التي ذكرها المقدسي⁷، حيث أشار إلى أن تاهرت "تنبعث حولها الأعين"، وأضاف الإدريسي

¹ اليعقوبي: وصف إفريقية الشمالية، نشر هنري بريس، الجزائر، 1380 هـ، ص 16.

² مؤلف مجهول: كتاب الإستبصار، المصدر السابق، ص 134، البكري: المصدر السابق، ص 77.

³ الإدريسي: وصف، المصدر السابق، ص 91، مؤلف مجهول: نفسه، ص 130.

مليانة: مدينة قديمة بناها الرومان، تقع على سفح جبل، تقع غير بعيد من أشير. الحموي: المصدر السابق، ص 5، ص 196.

⁵ ابن حوقل المصدر السابق، ص 86-88.

⁶ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، نفسه، ص 178.

⁷ المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، مطبعة بريل، ط 1، لندن، 1906، ص 229.

"لها مياه متدفقة ومياه جارية تدخل أكثر ديارهم ويتصرفون بها"¹. ولقد كانت كل من طينة وقزرونة وأشير، ميله، تنس، كلها لها أعين تنبع منها وكان سكانها يستغلونها في أمورهم المختلفة منها ري المزروعات.

II. 3 الآبار:

كانت الآبار من المصادر الهامة والأساسية للري، ولذلك كانت لا تخلو دار من بئر، ومن هذه الآبار: إن شرشال كانت بها آبار عذبة وكانت طينة بها آبار. ولقد كانت تواجه السكان في مسألة الآبار تسرب مياهها إلى باطن الأرض، فكانوا يلجئون إلى حفرها. كما قام السكان ببناء السدود ومد القنوات للحفاظ على مياه الآبار والأمطار.

III. تربية الحيوانات:

إن للحيوانات منافع عديدة منذ القديم، فكانت جلودها تستعمل في صناعة القرب، ويستفاد من حليبها ولبنها ويصنعون منها الجبن ويستخرجون الزبد، وكان يستفاد من صوفها وشعرها ووبرها في صناعة الملابس والخيام والأغطية، كما كانت تستعمل الحيوانات للنقل والركوب والأعمال المختلفة. حتى أنها كانت أساسية في الحروب. لذلك كان السكان في عهد بني حماد يربون مختلف الحيوانات إلى جانب زراعتهم الأرض مثل : الغنم، الخيل، البغال، الإبل، وحتى النحل، فقد ذكر صاحب "كتاب

¹ الإدريسي: وصف، المصدر السابق، ص 82، 84.

الاستبصار" أن بلاد المغرب الأوسط "كثيرة الغنم والماشية طيبة المراعي"¹. وهذا من القديم المغرب الأوسط يزخر بمختلف الحيوانات.

III. 1 الخيل:

لقد كان سكان بجاية معروفين بتربية الخيول البربرية الأصيلة. كما كانت تلمسان أيضا تعرف بتربية الخيول، ولقد كان السكان المغاربة على وجه الخصوص يطلقون على خيولهم أسماء يختارونها².

III. 2 البغال:

لقد ذكر ابن حوقل في كتابه، إلى وجود البغال في بلاد المغرب خلال العهد الحمادي³، ولقد كانت البغال في بعض الأوقات تفضل على الخيول وذلك لأنها كانت تمتاز بالقوة وشدة تحملها فكانت تشارك في الأعمال الحربية⁴. كما خصصت للنقل وخدمة الزراعة⁵.

III. 3 الأغنام:

¹ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص 179.
² الحموي، المصدر السابق، ح2، ص 3.
³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.
⁴ القاضي النعمان: رسالة افتتاح الدعوة، تح و داد القاضي، دار الثقافة، ط1، بيروت، 1970، ص 75.
⁴ فاطمة بلهاري: النشاط الرعوي في بلاد المغرب، مجلة كان التاريخية، متخصصة في البحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، العدد 8. يونيو، 2010.

لقد كانت الأغنام هي الأخرى بوفرة في مدن المغرب الأوسط خلال هذه الفترة، وكان السكان يربونها لكي يستفيدوا منها، من حليبها ومن لحومها ومن صوفها ومن...، فقد كانت موجودة في تاهرت وشرشال "أغنام كثيرة"¹، والمسيلة وتدلّس وبجاية، بونة، طينة، ولكثرتها فقد كان غنم جيغل وتدلّس يصدر لمختلف الأقطار².

III. 4 البقر:

أشار الإدريسي لوجود البقر في مختلف المدن حيث ذكر "رخص السمن والزبد والبقر والغنم"³.

III. 5 الإبل:

لقد كانت بلاد المغرب بصفة عامة تتوفر على الإبل خاصة في الصحراء، أو المناطق القريبة منها. وأشار ابن حوقل على أن المغاربة عندهم من الجمال الكثير في براريهم وعند سكان صحاريهم⁴.

III. 6 النحل:

لقد اهتم السكان بتربية النحل، وكانوا يستفيدون من عسله في مختلف المجالات، فذكر ابن حوقل بأن أهل تاهرت "يكثر عندهم العسل"⁵، كما كان موجودا في شرشال وقسنطينة، حتى أنه كان

¹ الإدريسي: وصف، المصدر السابق، ص 90. البكري: المغرب، المصدر السابق، ص 87

² نفسه، ص 90.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 78. الإدريسي، نفسه، ص 89

⁴ نفسه، ص 87.

⁵ نفسه، ص 78.

يصدر للأقطار المجاورة لهم والبعيدة عنهم. ولقد كان العسل يدخل في صناعة الحلويات وعلاج بعض الأمراض.

IV. الصيد البحري:

كان الساحل الحمادي مزدهرا بصيد السمك بأنواعه المختلفة، فكان التجار يذهبون إلى الصيادين فيشترون صيدهم ثم يبيعونه في المدن¹.

لقد أشار الإدريسي² أن الحوت يصطاد من سواحل جيجل والسمك الصغير من مدينة المسيلة، حيث كان نهر المسيلة فيه السمك أحمر صغير وكان سكانها يفتخرون به، "وربما اصطيد منه الشيء الكثير ما حمل إلى قلعة بني حماد"³.

وإلى جانب السمك كانوا يصطادون المرجان في بعض الموانئ المدن الحمادية، مرسى الخرز وتنس، فذكر ابن حوقل أن "مرسى الخرز قرية لكنها نبيلة لمكان المرجان وحضور من يحظرها من التجار ولا أعرف في شيء من البحار له نظيرا في الجودة"⁴، كما أشار الإدريسي إلى وجود المرجان بكثرة بمرسى الخرز ولقد كان يقصده التجار من كل جهة ليشتروا منه، ولقد كان يصطاد بآلات ذوات ذوائب كثيرة

¹ جودت عبد الكريم يوسف: الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ب ط، ص 70.

² الإدريسي: وصف، المصدر السابق، ص 62-67.

³ رشيد بوربوية: المرجع السابق، ص 135.

⁴ ابن حوقل: المصدر السابق، ص 77.

الفصل الأول : الزراعة في الدولة الحمادية

تصنع من القنب تدار هذه الالة في أعلى المركب فتلتف الخيوط على ما قاربها من نبات المرجان، فيجذبه الرجال إلى أنفسهم، ويستخرجون منه الشيء الكثير مما يباع بالأموال الطائلة"¹.

لقد وجدت في المدن الحمادية ألوان مختلفة من النشاط الفلاحي الزراعي، فكانت توجد أنواع متشابهة من المنتجات والمحاصيل الزراعية، التي سدت حاجيات السكان وصدر الفائض منها إلى مختلف الأقطار، كما عرفت ازدهارا في تربية الحيوانات ووفرتها بالإضافة إلى الثروة السمكية والمرجان الذي عاد بالفائدة على الدولة، وهذه الوفرة بالضرورة أدت إلى وفرة اللحوم والدهون ومنتجات الألبان ومواد أولية لمختلف الصناعات.

هذا الازدهار يعكس لنا الحياة الاقتصادية المزدهرة النشطة التي عكست بدورها على ازدهار الصناعة والتجارة. وسنتطرق في الفصل الموالي إلى الصناعة.

¹ رشيد بروية، نفسه، ص، 78. ابن حوقل، نفسه، مج1، ص 106.

ثانيا. الصناعة في الدولة الحمادية:

تباين الصنائع وتختلف من مجتمع إلى آخر، باختلاف درجة التطور، فإن صنائع المجتمع البدوي تختلف عنها في المجتمع الحضري، فالمجتمع الأول تتركز حول توفر الطعام والملبس والخيام وبعض الأدوات التي تستعمل في توفير الأمن للناس أي أن المجال الصناعي في المجتمع البدوي ضيق، وهذا ما دعا ابن خلدون إن يذكر أن العمران البدوي "لا يحتاج من الصنائع إلا البسيط خاصة المستعمل في الضروريات، من نجار أو حداد أو خياط...¹" ، ويختلف الأمر بالنسبة للمجتمع الحضري، حيث يكثر العمران والسكان، ويزداد تطلعهم إلى ما وراء الضروري، أي الكماليات.

فقد مثلت الصناعة في الدولة الحمادية أحد الأنشطة الاقتصادية الهامة، ومما ساعد على ازدهارها هو توفر المنتجات الزراعية والحيوانية، بالإضافة إلى توفر المعادن المتعددة في المدن الحمادية، كما أن الشاطئ الساحلي الذي تتم عبه الدولة كان بدوره عاملا من عوامل قيام بعض الصناعات.

فما هي أنواع الصناعات التي كانت موجودة في مدن الدولة الحمادية؟ هذا ما سنحاول الإجابة عنه بإذن الله في هذا الفصل.

¹ ابن خلدون عبد الرحمان: المقدمة، دار الجيل، بيروت، ب ط، ص 401.

I. صناعة النسيج:

تعتبر صناعة النسيج الصناعة الرئيسية في مختلف المجتمعات، وذلك بسبب حاجة الناس إليها على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم، ولقد اشتهرت بلاد المغرب الأوسط بصناعة النسيج بسبب وفرة المادة الخام خاصة الصوفية منها، وليس من السهل حصر استعمالات النسيج، فمنها الملابس على شتى أنواعها، والخيام على اختلافها، والأثاث المنزلي بأنواعه. فنجد أهل بجاية متخصصين في صناعة العمائم¹. فقد قال "صاحب كتاب الاستبصار": "كانت لملك صنهاجة عمائم مذهبة تساوي العمامة الخمسمائة دينار...."². هنا نلاحظ مدى أهمية هذا النوع من الصناعة النسيجية لدى السكان وحتى الملوك على حد سواء.

كما كانت هناك أنواع عديدة من الملابس إلى جانب العمائم، كانت تصنع ببجاية، ذكرها البيدق³ وهو يتحدث في كتابه عن إقامة ابن تومرت بالعاصمة الحمادية فقال: "إن المهدي كان ينهى الناس عن الاقراق الزرارية ولباس الفتوحات للرجال، ويقول لا تتزينوا بزبي النساء لأنه حرام"⁴. وهذه أنواع من الملابس التي كان الرجال يلبسونها في دولة بني حماد، لكن نتساءل هنا هل كانت هذه الملابس تصنع في المغرب أو أنها كانت تجلب من المشرق، أو من البلدان القريبة من المغرب.

¹ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص 55.

² نفسه، ص 58.

³ البيدق: هو أبو بكر بن علي الصنهاجي، مؤرخ رافق ابن تومرت أثناء عودته من المشرق.

⁴ البيدق: كتاب أخبار المهدي ابن تومرت، تح عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ب ط، ص 52.

هذا فيما يخص الصناعة النسيجية في بجاية، ننتقل إلى قلعة بني حماد، فقد ازدهرت بها صناعة الأكسية التي كان ليس لها مثيل في الجودة¹، كما أشار ياقوت الحموي إلى مكانة القلعة في صناعة الملابس الجميلة والأقمشة المزركشة² بالإضافة إلى صناعة السجاجيد والملابس الفاخرة³ التي كانت تصنع بالقلعة ويصدر منها إلى المدن المجاورة.

بالإضافة إلى أن السكان كانوا يصنعون خيامهم وهي صناعة متوارثة كانت تصنع إما من الصوف، أو الوبر، أو الشعر، أو القطن، كما كان يستعمل الكتان في صنع الثياب والأحذية وغيرها، كما عرفت المدن الصناعة الحريرية المشهورة خاصة في تلمسان. كان الرجال والنساء على حد سواء يلبسون الملابس الحريرية، كما عرف السكان الصناعة النسيجية القطنية، وكذا صباغة الملابس وتزيينها بمختلف الألوان ولقد كانت الأصباغ نباتية في الغالب.

II . صناعة المعادن:

II . 1 الصناعة الحديدية:

إن الصناعة المعدنية تحتاج إلى مواد خام وهذا ما كان موجودا بالمغرب الأوسط، فقد ذكر اليعقوبي⁴ أن بمدينة بجاية "معادن الفضة والحديد والرصاص" وذكر ابن حوقل أن مدينة بونة: "بها معادن

¹ مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص 170.

² الحموي، المصدر السابق، ج3، ص 363.

³ عبد الرحمان جيلالي: تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ج1، الجزائر، ب ط، ص

⁴ اليعقوبي: المصدر السابق، ص 10. ابن حوقل، المصدر السابق، ص 17.

حديد كثيرة ويحمل منه إلى الأقطار الغزيرة الكثيرة¹. والحديد كان ضروري في مدن الدول وذلك لأنه يصنع منه مختلف الحاجيات وأولها السلاح من سيوف ورماح.....، وبعض الأدوات المنزلية مثل: السكين والخنجر والمقص.... ولقد عرفت هذه المهنة التخصص كغيرها من المهن والشخص المتخصص في هذه الصناعات يحمل حداد.

II . 2 الصناعات الذهبية:

لقد كان الذهب يجلب من بلاد السودان عبر القوافل ويصنع في بعض مدن الدولة، وكان يصنع منه النقود والدنانير كما كان يصنع منه الحلبي للنساء من أقراط وأساور وعقود وخلائيل، كما صنعوا منه بعض الأواني مثل: الأقداح والأباريق. إن استعمال الذهب في الصناعة كان محدودا لأنه كان مقتصرا على الأثرياء من المجتمع، وعامة الناس لا يستطيعون اقتناها².

II , 3 الصناعات الفضية:

لقد كان معدن الفضة موجود في بجاية، وكانت الفضة تستعمل مثلما يستعمل الذهب، فاستعملت في سك النقود، الدراهم وفي الحلبي وبعض الأدوات المنزلية. ولقد ازدهرت هذه الصناعة في المدن لأنها دلالة على الترف والأمن³.

II 4 الصناعة النحاسية:

كانت مدن المغرب بصفة عامة غنية بمختلف المعادن، وكان السكان يستخرجونها من مختلف المناجم،

¹ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 17.

² عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص 102. ابن حوقل، نفسه، ص 17.

³ نفسه، ص 103.

فكان النحاس موجودا في المدن فوجدت مناجم النحاس ولقد اشتهرت جيغل بالنحاس والزمرد¹.
وتخصصت في صناعاته ولقد ذكر البكري "أن على هذه المواضع كلها من جبال كتامة معادن النحاس"
ولقد استعملت هذه المادة في صناعة كثير من الأدوات.²

الصناعة الفخارية:

لقد كان هذا النوع من الصناعات مزدهرا في المدن الحمادية خصوصا في مدينتي القلعة وبجاية، كما
شهدت بذلك القطع التي اكتشفت في آثار المدينتين والتي يحتفظ بها بمتحف الجزائر³، فقد كان
بالمدينتين فخارين و خزفيين يصنعون أنواع مختلفة من الأواني الفخارية التي يحتاجونها للاستعمال المنزلي
مثل : الجرة، القلال، الزير، الأباريق، الكؤوس، الأقداح والأطباق⁴....، ولقد كانت الحاجة تدعو الناس
إلى صنع الخوابي لحفظ طعامهم. كما عثر على مطامير وكسر من الفخار في آثار مدينة القلعة، كما كانوا
يقومون بطلاء الأواني وتلوينه بزخارف وأشكال وخطوط متوازية ومستقيمة⁵.

III صناعات مختلفة :

إلى جانب الصناعة المعدنية والنسيجية وصناعة الفخار والخزف عرفت دولة بني حماد صناعات
متعددة ومختلفة ذكرها الجغرافيون والدارسون لهذا الفترة نحصر منها:

¹ صالح بن قرية بن يوسف: تاريخ مدينتي المسيلة وقلعة بني حماد في العصر الأوسط، دراسة تاريخية وأثرية، منشورات الحضارة، ط1، 2009، ص25.

² البكري، المصدر السابق، ص145.

³ إسماعيل العربي: دولة بني حماد، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص241.

⁴ نفسه، ص159.

⁵ جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص118.

III. 1. الصناعات الغذائية والتقليدية:

مثل عصر الزيتون وطحن الدقيق¹، كما وجدت صناعة الخبز والطباخ وهذا نتيجة ازدهار العمران في بلاد المغرب، وصناعة تجفيف الفواكه مثل التين والمشمش والزبيب².

III. 2. صناعة العطور:

لقد عرفت بلاد المغرب كغيرها من البلدان صناعة العطور وعرفت التخصص ولقد كانوا يصنعون من مختلف الأزهار مثل الريحان والياسمين عطور مختلفة³.

III. 3. صناعة الخمر:

لقد ذكر ابن حوقل بخصوص العاملين في مرسى الخرز في صيد المرجان أنهم "يكثرون الأكل والشرب ويتبنذون نبيذ العسل"⁴.

III. 4. صناعة الحصر:

وهو نوع من أنواع الأثاث يصنع من الحلفاء التي كانت متوفرة بالمغرب، وأحيانا يصنعون من سعف النخيل، ولقد تفنن الصناع في صنع أنواع الحصر وأتقنوها. كما أن هذه الصناعة عرفت ازدهارا لضرورتها بكل منزل .

¹ إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 240

² جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص 109

³ نفسه، ص 111.

⁴ ابن حوقل المصدر السابق، ص 77.

صناعة السفن:

كما نشطت بالدولة الحمادية صناعة السفن وهذا ما ذكره صاحب "كتاب الاستبصار"¹ "أنه كان ببجاية داران لصناعة المراكب وإنشاء السفن" ونلاحظ ازدهار صناعة السفن ببجاية بالأخص لأنها تتوفر على غابات كثيفة، مما ساعدها على توفر المادة الأولية لصناعة السفن. كما يشير البكري² هو الآخر أنه بمرسی الخرز كانت "تنشأ المراكب الحربية التي تغزي بها إلى بلاد الروم." كما صنعوا من الخشب الموائد والكراسي وبعض الأدوات المنزلية.

- كما نجد صناعة الشمع والدياغ مزدهرة ببجاية حتى أنه يصدر منها إلى الجهات المختلفة.³

- بالإضافة إلى صناعة الزجاج، حيث عشر على بقايا من قطع زجاجية عديدة أثناء الحفريات التي أجريت في منطقة القلعة والتي تدل على ازدهار صناعة الزجاج بها.⁴

قد كانت الصناعة مزدهرة ببلاد المغرب الأوسط بصفة عامة وساعد على ازدهارها عدة عوامل ذكرناها سابقا، إلا أنها كانت صناعات تعتمد في الغالب على الأدوات اليدوية بصفة عامة، وإن كان هذا طابعا لفترة وميزتها، إلا أنها كانت تتماشى مع متطلبات السكان وحاجياته ومتطلبات السوق.

¹ جودت، المرجع السابق، ص112.

² مؤلف مجهول: كتاب الاستبصار، المصدر السابق، ص20.

³ البكري، المصدر السابق، ص55.

⁴ إسماعيل العربي: المرجع السابق، ص 248.

⁵ رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص139.

وبالإضافة إلى التصدير لمختلف الجهات وهنا سنتطرق في الفصل الموالي إلى التجارة.

ثالثا. التجارة في الدولة الحمادية:

يرى ابن خلدن أن الإنسان مدني بطبعه، فهو دائما بحاجة إلى الآخرين من أجل اقتناء ضرورياته على الأقل، فإذا كان فلاحا، فهو بحاجة إلى التاجر والحداد وغيرها¹.

ولقد كان الاستقرار والازدهار اللذين عرفتهما الدولة الحمادية بالقلعة أثرا كبيرة على نشاطها التجاري²، وكانت التجارة أبرز الأنشطة الاقتصادية في الدولة ولقد ساعدت ظروف سياسية وجغرافية، واقتصادية على أن تزدهر فالظروف السياسية المحيطة بالدول المجاورة لهم كالزيرين والمرابطين، وسياستهم معهم³، والشاطئ الطويل الذي تتمتع به الدولة بالإضافة إلى الموانئ الكثيرة بالمدن الحمادية، والأسواق داخل المدن، كل هذه العوامل مكنتهم من مزاوله تجارة ناجحة. وسأتطرق في هذا الفصل إلى التجارة وأنواعها وطرقها، بالإضافة إلى النظم المالية.

¹ ابن خلدون: المقدمة، المصدر السابق، ص 41.

² صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 252.

³ عبد الحليم عويس: المرجع السابق، ص 296.

I. 1 التجارة الداخلية:

بالإضافة إلى توفر المواد الزراعية الصناعية كلها أدت إلى ازدهار التجارة المحلية وبفضل حرص الدولة على تأمين طرق المواصلات بين مدن الدولة كالقلعة والمسيلة وأشير وغيرها.

الأسواق:

تقام الأسواق حيث توجد مجتمعات سكانية، فقد كان لكل قرية أو مدينة سوق، يجتمعون فيه التجار للتبادل التجاري، وهذا يدل على وفرة السلع والرخاء الاقتصادي، فكانت لمدينة بجاية مثلا وحدها خمس أسواق، بجانب بجاية توجد عدة أسواق في المدن المختلفة من الدولة مثل بونة وباغاية، ميلة، سطيف، وتنس ذكر البكري¹ أنها كان بها "أساق كثيرة"، كما أشار المقدسي² إلى أسواق تاهرت فقال: "بأن تاهرت بلد رثيق الأسواق"، أما ابن حوقل فقد عبر عن أسواق تاهرت بقوله أن "التجار والتجارة بالمحدثة أكثر"³. وهكذا كانت المدينة في بلاد المغرب الأوسط تشمل على عدة أسواق، إلا أن هناك بعض المدن يوجد بها سوق واحد، مثل تاجنة وبنو وازلفن، ومدينة الخضراء وكذلك مدينة مليانة فكان لها سوق واحدة ونستشف من كثرة الأسواق على اتساع البلد والمدينة وأهميتها، ولقد كان السوق في بعض المدن يحمل اسم اليوم الذي تدب فيه الحركة والنشاط، هنا ذكر الإدريسي على الطريق الرابط بين بجاية وقلعة بني حماد "سوق الأحد"⁴. وتتوفر طرق المواصلات وتوفر الأمن أيضا هذا ساعد على

¹ البكري: المصدر السابق، ص 61-76.

² المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص 228.

³ ابن حوقل، المصدر السابق، ص 86.

⁴ الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح وتر ليدن، 1866، ص 92.

تكامل اقتصادي داخلي للدولة، وهي تتبادل في ما بينها منتجاتها المختلفة، فالإدريسي يذكر أن بجاية "يجلب إليها من أقاليمها الزيت البالغ الجودة والقطران"¹، وأن سمك المسيلة يصطاد ويحمل إلى قلعة بني حماد².

I. 2 التجارة الخارجية:

يتفق الجغرافيون والمؤرخون على أن الحماديين قد نشطوا من باب التجارة الخارجية، فالإدريسي يذكر: "أن أهل بجاية كانوا يجالسون تجار المغرب الأقصى، وتجار الصحراء، تجار المشرق"³.

العلاقات التجارية:

لقد كانت للدولة الحمادية علاقات تجارية مع دول المغرب الإسلامي، كالزيرين الذين تاجروا معهم بالخشب⁴ ومختلف الحبوب التي كانت تنتج في المدن الحمادية، وأيضاً كانت للحماديين علاقات تجارية مع دول المشرق، مثل: مصر التي كانوا يزودونها بالمرجان ولقد كانت هناك أيضاً علاقات تجارية للحماديين ومع السودان الغربي، حيث يتبادلون التمر بالذهب ومختلف المنتجات التي تنتجها المدن الحمادية بالمغرب الأوسط.

كما كانت لدولة الحمادية علاقات تجارية مع الدول الأوروبية المسيحية، التي كانت بعضها عدوة لها،

¹ الإدريسي: وصف، المصدر السابق، ص 90.

² نفسه، ص 85،

³ نفسه، ص 90.

⁴ صالح بن قرية: المرجع السابق، ص 254.

فكانت للحماديين علاقات مع العالم المسيحي كما قلنا مثل إيطاليا وجنوة وغيرها من مدن المغرب المسيحي ولقد ارتبطت معها بمعاهدات تجارية مع الجمهورية الإيطالية كالبندقية وجنوة¹ وبيزا وغيرها². وأما السلع التي كانت تصدر من القل نحو المدن الأوروبية فكانت تتمثل في الشمع والجلود وكما كانت بجاية تصدر الخيول العربية والبربرية والتين المجفف والجلود المدبوغة، وقشور الدباغة والبقول الجافة والفسق والقطن وريش النعام، والذهب القادم من السودان.... إلى غيرها من المنتجات³.

أما الواردات التي كانت تجلب إلى المدن فقد تنوعت واختلفت بدورها، وهذا حسب احتياجات المجتمع، فكثيرا ما استورد البجائيون من أوروبا الأسلحة مثل الدروع والحراب والعقاقير الآتية من أقصى الشرق، والورق⁴، ومما ساعد على ازدهار نشاط التجارة الخارجية هو توفر المواصلات البحرية والبرية، التي ساعدت الدولة على بناء علاقات تجارية واسعة النطاق.

II الطرق التجارية:

لقد عملت الدولة الحمادية على تأمين الطرق والمواصلات للتجار وذلك من أجل توفير الأمن والاستقرار للمجتمع وهذه الطرق كأنها شرايين تربط بين أنحاء المدن كما تربطها بالعالم الخارجي، فهناك طرق تربطها بالقيروان، فالمشرق الإسلامي، وطرق أخرى تربطها بالمغرب الأقصى فالأندلس، وطرق

¹ جنوة: هي في بلاد الروم علي ساحل البحر الأبيض المتوسط، وهي مدينة كثيرة المزارع والقرى، أهلها تجار يسافرون برا وبحرا. محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في خبر الأقطار، معجم جغرافي، تح إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، بيروت، 1984. ص 173.

² محمد الشريف سيدي موسى: مدينة بجاية الناصرية، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 54.

³ نفسه، ص 54.

⁴ نفسه، ص 56.

تربطها ببلاد السودان، ولا نغفل عن الطرق البحرية التي كانت تربطها بالغرب المسيحي¹، كما كانت هناك طرق وشبكة من المواصلات تربط المدن الداخلية مع بعضها، كما ترتبط بسواحل البحر، وهذا له أهمية في التجارة الخارجية البحرية، كما كانت هناك مراكز ومحطات في هذه الطرق عامرة بالسكان، وهذا الأمر يساعد التجار كثيرا، حيث هو في مأمن من القراصنة كما يساعده بالتزود بالمتونة وإجراء المبادلات التجارية، إلا أن الملاحظ هنا أن هذه الطرق تكلف التجار بدفع الضريبة للدولة أو القبيلة التي يمرون بها².

وسائل النقل:

لقد كانت القوافل تجوب مختلف الطرق البرية، وكان انطلاق القافلة محدد الزمان والمكان فكان على كل من أراد أن يرافق القافلة أن يذهب إلى مكان معين خارج المدينة يجتمع فيه التجار. وكانت القافلة تستعين بالدليل ومن له خبرة بالطرق.

أما في البحر، فقد كانت السفن تسير في قوافل بحرية، فإذا ما تعطل مركب وجدت المساعدة من بقية المراكب المرافقة، وأفاد المقدسي أنه كانت "تفتش المراكب عند إقلاعها"³، ولقد كان الملاحون يستعينون في توجيه سفنهم بالشمس والقمر والنجوم كما استعملوا بعض أنواع الطيور⁴.

¹ عبد الكريم جودت: المرجع السابق، ص 202.

² المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص 247.

³ نفسه، ص 247.

⁴ نفسه، ص 12.

III. النظم المالية والأوزان:

لقد كانت النظم المالية مخلفة ومتنوعة في المغرب الأوسط خلال العهد الحمادي ولكنها لا تختلف عن تلك التي كانت موجودة في بقية أنحاء البلاد الإسلامية أوهي ماخوذة عنها ورغم شح المصادر في إعطاء تفصيلات كافية عنها.

III. 1 العملة:

لما أعلن حماد استقلاله عن الزيرين كانت النقود التي يتداولونها هي نقود فاطمية أو عباسية، وهي أنواع: الدينار الذهبي وأجزائه، والدرهم الفضي وأجزائه، ثم الفلوس النحاسي أو البرونزي.

ويذكر المقدسي أن الدرهم الفاطمي "له نصف يسمونه القيراط"¹، وله ربع وثمان وكان للدرهم مضاعفات منها النواة وهي تساوي خمسة دراهم، والأوقية وهي تزن أربعين درهما، ثم القنطار. ولقد كان الدينار هو العملة الرسمية المستعملة في الدولة الحمادية، وكان يعرف ب"الدينار المغربي"². ولكنهم حافظوا على الشكل والحجم والشعار للدينار الذي كان بالدولة السابق³، أي الدولة الفاطمية وشعاراتها.

¹ المقدسي: أحسن التقاسيم، المصدر السابق، ص 240.

² ارشيبارد لويس: القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر محمد أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، 1960، ص 255.

³ صالح بن قرية: المسكوكات المغربية على عهد الموحدين الحفصيين والمرينيين خلال القرن (6 و7 و8 و12-13-15م)، أطروحة لنيل درجة دكتوراه، جامعة الجزائر، السنة الجامعية، 1994-1995، ص 922.

وما يؤكد لها ما ذكره ابن خلدون حين ذكر أن يحيى بن العزيز آخر ملوك الأمراء الحماديين هو الذي أحدث السكة 543هـ¹، ولم يحدثها أحد قبله.

لقد كانت العملة تختلف من مكان لآخر، فقد ذكر البكري عن العملة التي يستعملها أهل تنس: "قيراطهم² ثلث درهم"³.

III. 2 الأوزان:

تختلف الأوزان التي استخدمها سكان المغرب الأوسط من منطقة إلي أخرى، ومن مدينة إلى مدينة، وهي تعتبر وحدات ضرورية لتسهيل التعامل بين الناس، كما تسهل التبادل التجاري، منها:

الرطل، الأوقية، المثقال، الدرهم.

- الرطل: يختلف وزنه من منطقة إلى أخرى ومن شيء إلى آخر حيث أن الرطل من اللحم ليس نفس رطل بقية الأشياء.⁴

- الأوقية: استعمل المغاربة الأوقية في أوزانهم، وهي أيضا تختلف من مكان إلى آخر والأوقية تساوي 119 غراما.⁵

- المثقال: يعد أقدم وحدة للوزن عند العرب⁶، كان وزن المثقال يساوي وزن الدينار، تتراوح نسبه بين 4، 21 غ و 4، 25 غ.

¹ ذكر ابن خلدون في المقدمة، أن صنهجة لم يتخذوا السكة إلا آخر الأمر... أتخذها المنصور صاحب بجاية، ح3، ص 640.

² القيراط : هو نصف الدرهم.

³ البكري:المغرب، المصدر السابق، ص 62.

⁴ المقديسي، المصدر السابق، ص 240.

⁵ نفسه، ص 240.

⁶ بودواية مبخوت: العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل درجة الدكتوراه دولة في التاريخ، اشرف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2005-2006، ص 327.

- الدرهم : ذكر البكري درهم تنس ودرهم أرشكوال¹ أنه يختلف عن درهم باقي المدن، والدرهم يساوي 2،975 غراما.²

لقد كانت هذه الأوزان مصنوعة من الرصاص، وكل منها مطبوعة باسم الحاكم وكانت تجدد من حين إلى آخر، وكان يعاقب كل من يحاول التلاعب بالأوزان.

III. 3 المكايل:

كانت المكايل المستعملة في أسواق مدن المغرب عهد الحماديون هي الأخرى متنوعة وذلك حسب النوع، هي :

المد، الويه، الصحفة، القادوس، القفير. الصاع، الرطل، القنطار.³

- المد : ذكر البكري "أن أهل تاهرت، أن مدهم الذي يكتالون به خمسة أقدرة نصف قرطبية"⁴.

- الويه : كان الويه يساوي 64 مدا وكان أهل باغية يستعملونه.

- الصحفة : كان سكان تنس يكتالون الحبوب بالصحفة التي تساوي 48 قادوسا⁵.

- القادوس : القادوس يساوي 3 أمداد بالمد.

- القفير: كان القفير يستعمل في كيل السوائل كالزيت ويستعمل أيضا في الحبوب، وكان القفير

يساوي 192 مدا.

¹ ارشكوال: هي مدينة تقع علي شاطئ البحر، علي بعد حوالي 24 ميل عن تلمسان، كانت مدينة في غاية العمران والحضارة لكنها تعرضت للتخريب مرات عديدة.

² البكري، المغرب، المصدر السابق. ص 69.

³ نفسه، ص 62. 91. المقدسي، المصدر السابق، ص 240.

⁴ نفسه. ص 64.

⁵ المقدسي، المصدر نفسه، ص 240.

- الصاع: يستعمل لكيال الحبوب ويساوي الصاع أربعة أمداد، ويختلف حجم الصاع المستعمل في الكيل التجاري من مكان إلى آخر.¹
- الرطل: يوزن ويكال، ويقدر باثنتين وعشرين أوقية.²
- القنطار: وهو معيار وزن الذهب أو الفضة وهو يختلف وزنه من مكان لآخر.

لقد شهدت مدن الدولة الحمادية ازدهارا تجاريا، دل على ذلك القوافل الكثيرة التي سارت إلى مختلف الجهات والمراكب العديدة التي أبحرت إلى مختلف الأقطار، وذلك لتوفر عدة عوامل مساعدة على هذا الازدهار، وقد كان هذا الرخاء الذي شهدته المدن من أبرز هذه العوامل، إذ ازداد الطلب على المنتجات والسلع من البلاد المجاورة والبعيدة، فكانت هذه المدن جسرا ومعبرا وملتقى القوافل التجارية من جميع الجهات.

¹ البكري، المصدر السابق، ص 27.

² بودواية مبخوت: المرجع السابق، ص 328.

أخيرا بعد أن استقام البحث عن الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط خلال العهد الحمادي، توصلت

إلى جملة من النتائج يمكن إبرازها فيما يلي :

✓ كان لتضاريس وخصوبة التربة بالمغرب الأوسط الدور الكبير في التحكم في النشاط الاقتصادي وازدهار النشاط الفلاحي.

✓ أدرك الحماديون أن عزة الدولة تتحقق بقوة الاقتصاد فنشطوا الزراعة واهتموا بالفلاحين.

✓ اهتم أمراء الدولة بالزراعة فأقاموا السدود وشقوا الترع واستخرجوا المياه ونوعوا المزروعات وحسنوها فكثر إنتاج الحبوب والفواكه والغلال المختلفة.

✓ يظهر من كتب الجغرافيا والرحلات، أن الحياة الاقتصادية بالمغرب الأوسط قد عرفت تطورا وتنوعا وازدهارا في إنتاج المحاصيل الزراعية: قمح، شعير، زيتون، كروم... ولعل هذا كان نتيجة لخصوبة التربة ووفرة المياه، كذلك من حيث الثروة الحيوانية: أبقار، أغنام، خيول...بالإضافة إلى الثروة السمكية حيث كان الساحل الحمادي مزدهرا بصيادة السمك بأنواعه المختلفة، إلى جانب صيد السمك كانت صيادة المرجان الذي كان يباع بالأموال الطائلة.

هذه الوفرة في المحاصيل الزراعية ورؤوس المواشي كانت نتيجة حتمية لقيام مجموعة من الحرف وذلك لتوفر المواد الأولية.

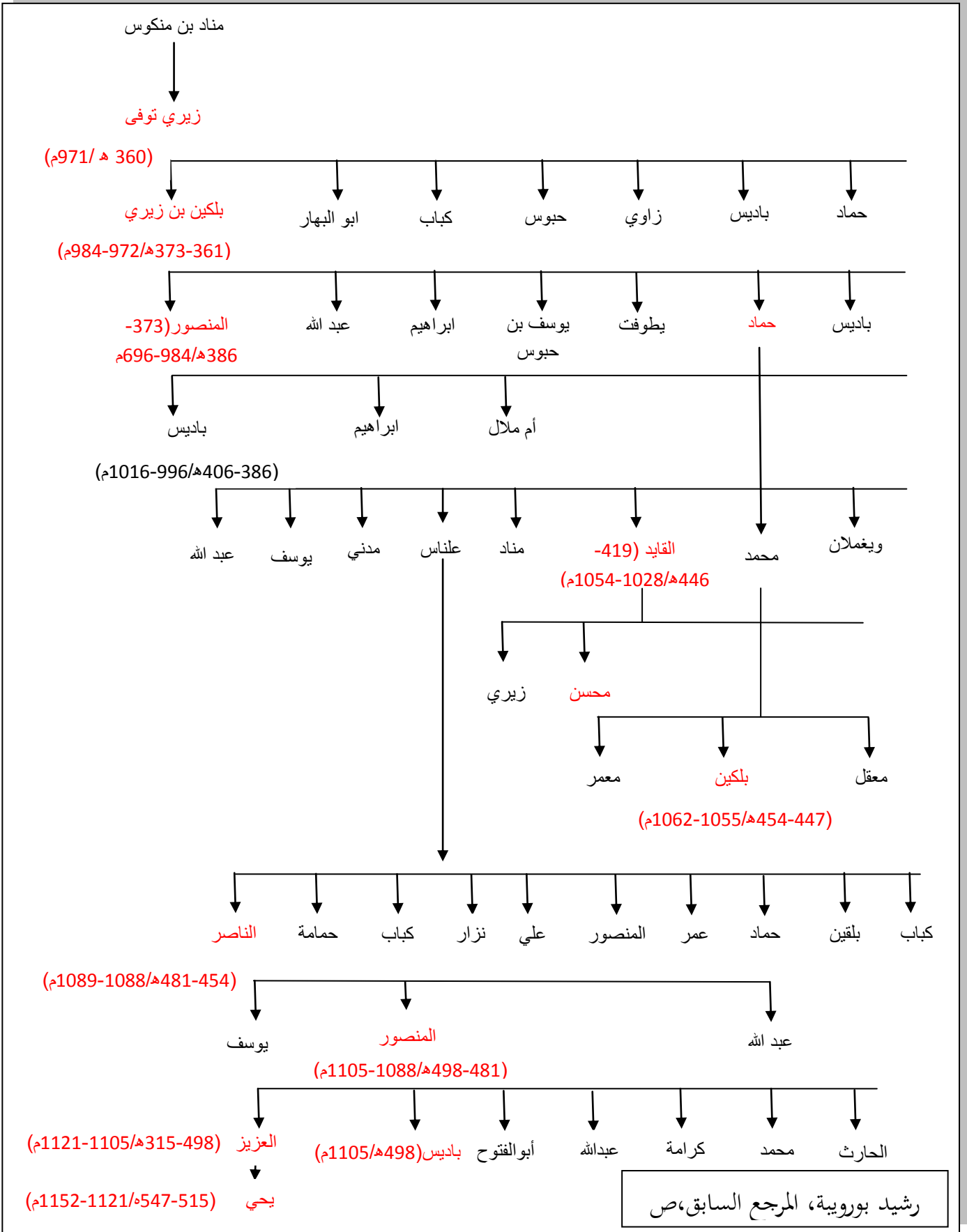
✓ توفر المواد الأولية أدى لقيام الحرف اليدوية والصناعات المرتبطة أساسا بهذه المواد، حيث تفنن فيها الإنسان المغربي خلال هذه الفترة.

✓ ساهمت الحرف إلى جانب المحاصيل والمنتجات في تنشيط الأسواق، خصوصا في فترات الهدوء والاستقرار.

✓ ازدهار الزراعة وتطور الصناعة أدى إلى تنشيط التجارة بشقيها الداخلي والخارجي البرية والبحرية حيث أصبحت بجاية مركزا وقطبا تجاريا تأتيه السفن من كل مكان والقوافل من أنحاء المغرب والصحراء.

✓ نتيجة تطور التجارة حسن الأمراء الحماديون علاقتهم التجارية مع دول مختلفة عربية وأوروبية مسيحية.

ملحق رقم 01: شجرة نسب بني حماد وأهم ملوكها



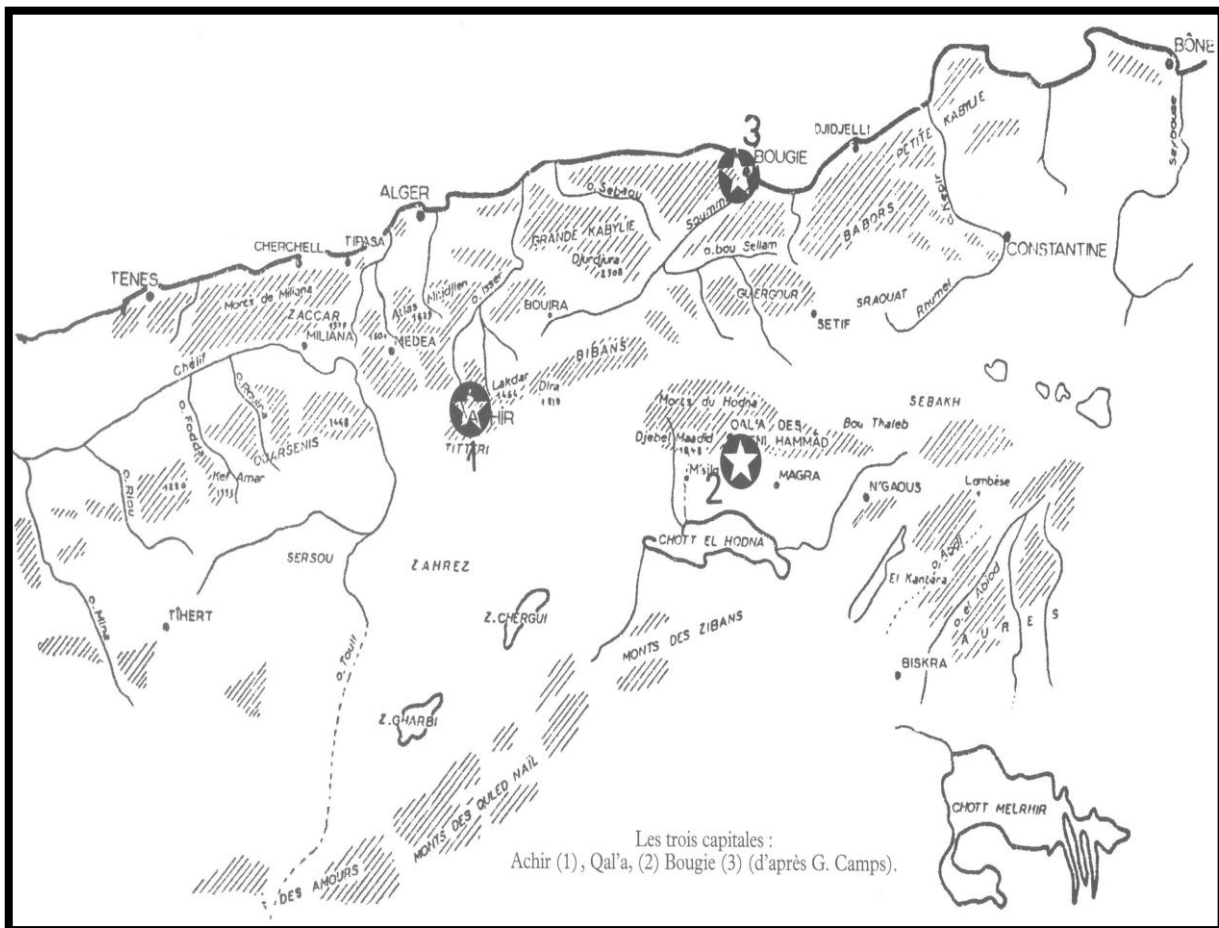
ملحق رقم 02



حدود الدولة الحمادية والزيرية (الأطلس، ص 54)

ملحق رقم 03

Les trois capitales : Achir (1), Qal'a, (2) Bougie (3) (d'après G. Camps)



L. Golvin, Encyclopédie berbère, Hammadides.p11.

ملحق رقم 04: جدول لأهم المحاصيل الزراعية لريف المغرب الأوسط خلال القرنين 5 و 6 هـ/11 و 12م.

المحاصيل الزراعية	مكان تواجدها	الكمية	المصدر
الحنطة	تنس	/	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 53.
	المسيلة	ممكنة جدا	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 156.
	القلعة	وفيرة	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 156.
	شرشال	ما تزيد عن الحاجة	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 159.
	الجزائر	/	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 159.
	مرسى الدجاج	كثيرة	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 159.
	بجاية	موجودة كثيرا	الإدريسي: نزهة المشتاق، ص

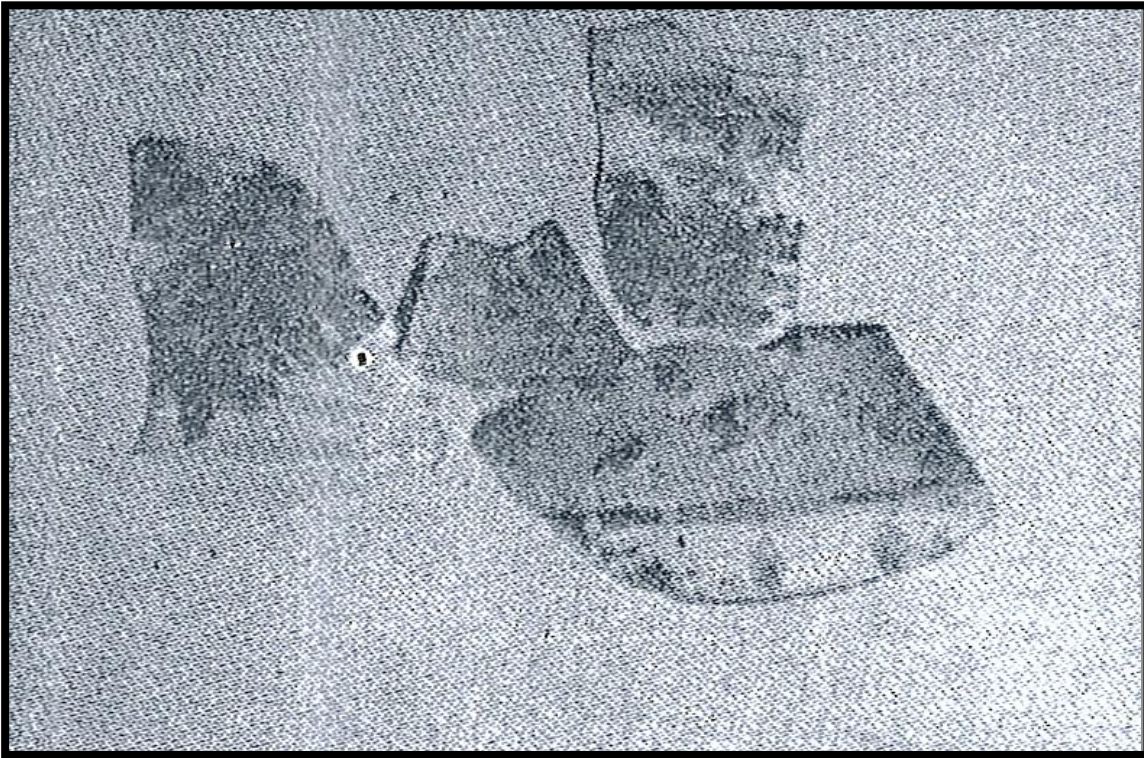
161-162.			
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص164.	/	طبنة	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص166.	/	قسنطينة	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص192.	كثيرة جدا	بونة	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص165، مؤلف مجهول: الاستبصار، ص178.	كثيرة، منها كل غريبة وطريفة	بسكرة	التمور
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص154.	وفيرة	قرية بنو وازلفن	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص154.	/	الخضراء	العنب
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص159.	/	شرشال	
مؤلف مجهول: الاستبصار،	كثيرة	القل	

ص 127.			
مؤلف مجهول: الاستبصار، ص 128.	كثيرة	جيغل	
مؤلف مجهول: الاستبصار، ص 177.	كثيرة	قلعة هوارة	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 152.	كثيرة جدا	إقليم مدينة باجة	التين
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 160.	وفيرة جدا	مرسى الدجاج	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 161.	تكفي لكثير من البلاد	بجاية	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 153.	وفيرة	تنس	السفرجل
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 154.	وفيرة	الخضراء	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص 159.	وفيرة	شرشال	

مؤلف مجهول: الاستبصار، ص166.	وفيرة	جبل العنصل	الجوز
مؤلف مجهول: الاستبصار، ص177.	كثيرة	تاهرت	
البكري: المغرب، ص 145، مؤلف مجهول: الاستبصار، ص163.	كبيرة	تبسة	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص165، مؤلف مجهول: الاستبصار، ص177.	كبيرة	نقاوس	
الإدريسي: نزهة المشتاق، ص169.	كبيرة	حصن سطيف	
مؤلف مجهول: الاستبصار، ص181.	كثيرة	تلمسان	

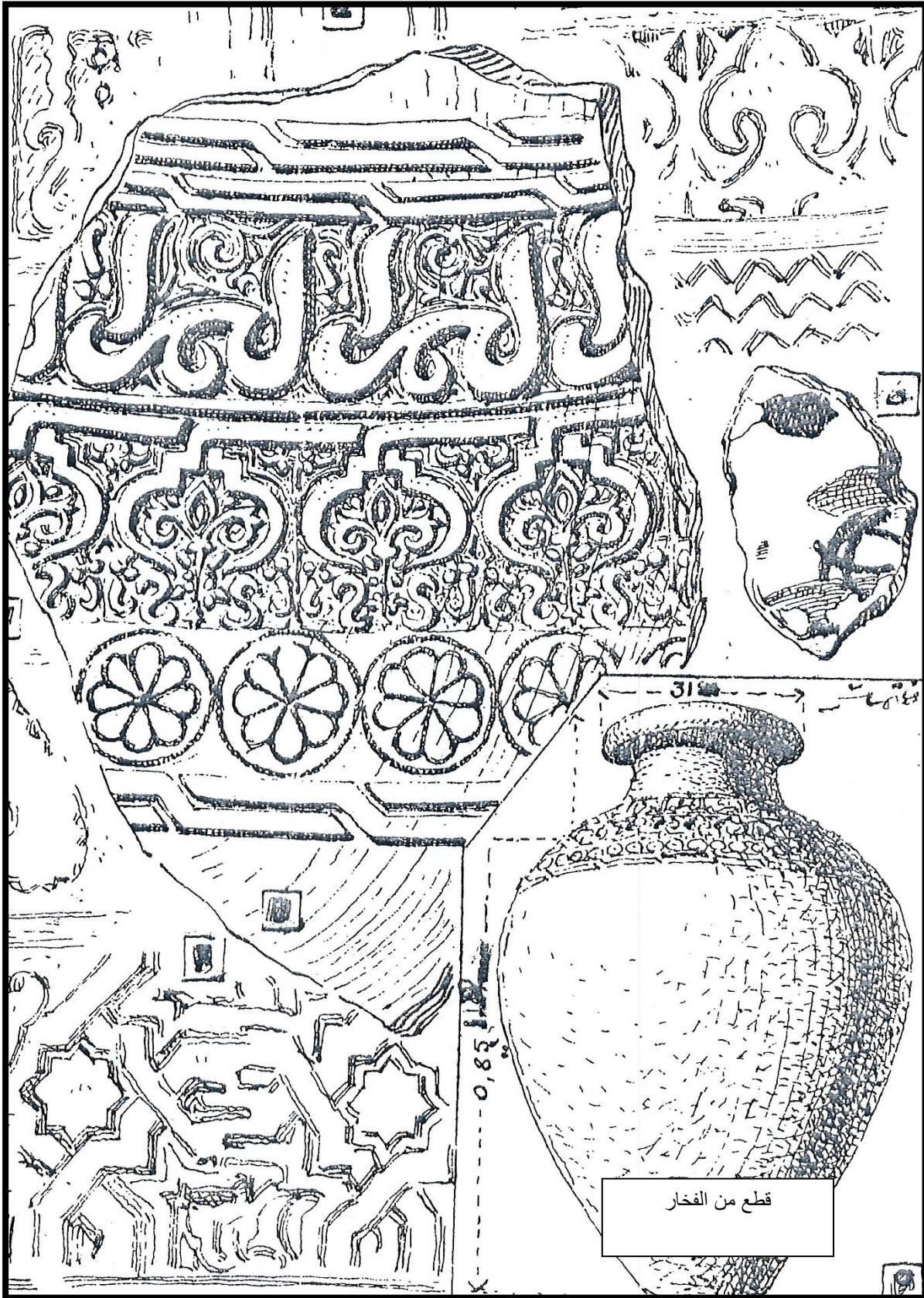
عميور سكيننة: ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م، دراسة اقتصادية واجتماعية،
مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف: د. إبراهيم بكير بحاز، السنة الجامعية، 2013. ص294-297.

ملحق رقم 05

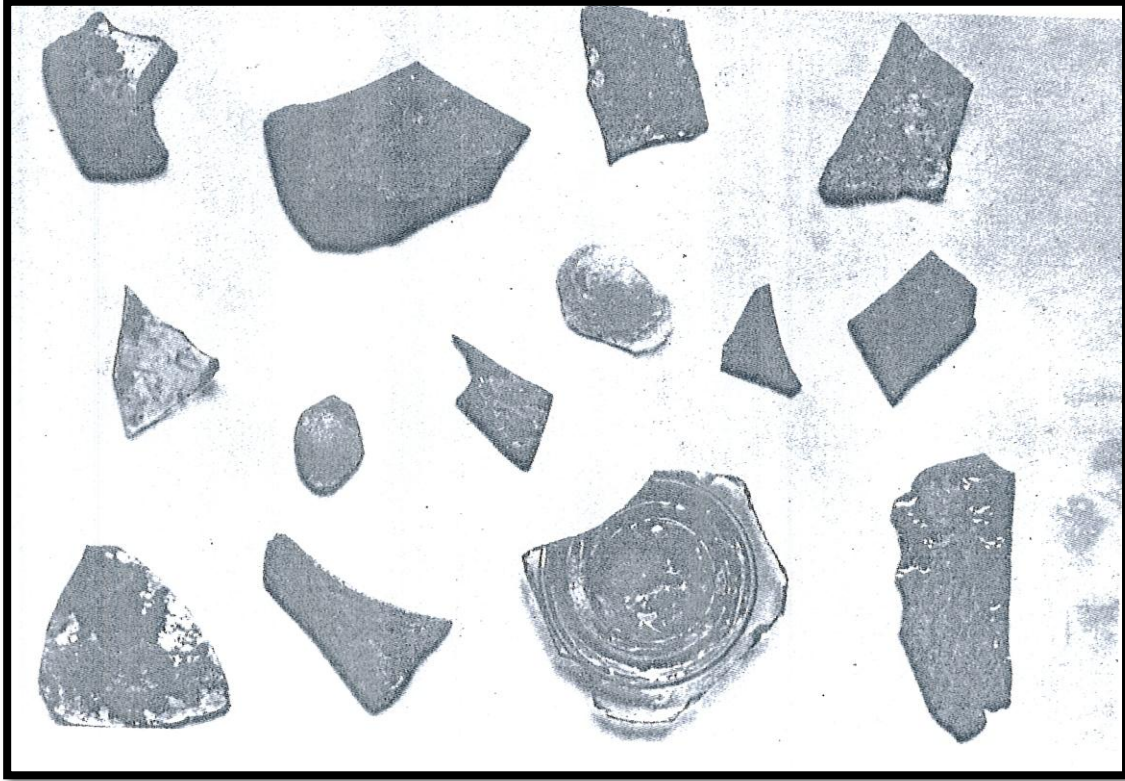


من آثار القلعة شظايا من الزجاج (رشيد بوروية)

ملحق رقم 06



ملحق رقم 07



شظايا وقطع معدنية مما اكتشف في انقاض القلعة (رشيد بورويبة)

(الملاحق رقم: 05، 06، 07، رشيد بورويبة، المرجع السابق، ص 354-376)

1. المصادر :

- ابن أبي دينار: المؤنس في أخبار افريقية وتونس، تحقيق وتعليق محمد شمام، تونس، 1967.
- ابن الأثير (عز الدين الجرزي)، الكامل في التاريخ، ج 9، صادر للطبع والنشر، بيروت، 1966.
- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز الشريف)، ت 560 هـ/1165 م، وصف افريقية، مطبعة بريل، لندن، 1968.
- الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وترجمة ليدن، 1866
- البكري (أبو عبد الله بن عبد العزيز)، ت 478 هـ/1113 م، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، مطبعة الحكومة، الجزائر، 1957.
- البيدق (أبو بكر بن علي الصنهاجي)، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- الحموي ياقوت (شهاب الدين احمد أبو عبد الله محمد)، ت 626 هـ/1228 م، معجم البلدان، ج1، دار صادر، بيروت، 1917.
- الحميري(محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، 1984.
- ابن الحوقل، ت 367 هـ/977 م، صورة الأرض، ج1، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ب ط.

- الخطيب (لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني)، ت 776 هـ/1374 م، أعمال الأعلام، تحقيق وتعليق أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني، ج3، نشر وتوزيع دار الكتاب، الدار البيضاء، 1964.
- ابن خلدون (أبو زيد عبد الرحمان بن محمد)، ت 808 هـ/1405 م، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج6، مكتبة القاهرة مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان، 1971.
- ابن خلدون(عبد الرحمان)، المقدمة، دار الجيل، بيروت، ب ط.
- القاضي النعمان، رسالة افتتاح الدعوة، تحقيق وداد القاضي، ط1، دار الثقافة، بيروت، 1970.
- القطان، نظم الجمان، تحقيق محمد علي مكي تطوان، ب ط، لمطبعة المهديّة، ب س ط.
- المراكشي (محي الدين عبد الواحد)، ت 647 هـ/1250 م، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ط1، مطبعة القاهرة، 1949م.
- المقدسي (شمس الدين أبو عبد الله)، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط2، مطبعة بريل، لندن، 1906.
- مؤلف مجهول، الاستبصار في عجائب الأمصار، تعليق عبد الحميد زغلول، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
- الوزان (حسن بن محمد القاسي المعروف بليون الإفريقي)، ت 956 هـ/1549 م، وصف إفريقيا، ج2، ط2، دار العرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983.

- اليعقوبي إسحاق (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح)، ت 274 هـ/888 م، وصف افريقية الشمالية، نشر هنري، الجزائر، 1960.

2. المراجع:

- ابن حماد(أبو زكريا)، أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، تحقيق جلول أحمد البدوي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
- أحمد (السعيد سليمان)، تاريخ الدولة الإسلامية، مصر، 1969.
- ارشيبارد (لويس): القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، تر محمد أحمد محمد عيسى، مكتبة النهضة المصرية، 1960.
- إسماعيل (العربي)، دولة بني حماد، سلسلة الدراسات الكبرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.
- بن قرية (صالح بن يوسف)، تاريخ مدينتي المسيلة والقلعة بني حماد في العصر الإسلامي، دراسة تاريخية وأثرية، منشورات الحضارة، ط1، 2009.
- بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار العرب الإسلامي، ط1، 1997.
- بوروية (رشيد)، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- بونار (رابح)، المغرب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968.

- جودت (عبد الكريم يوسف)، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب الأوسط، ديوان المطبوعات الجامعية. ب ط.
- الجيلالي (عبد الرحمان)، تاريخ الجزائر العام، ديوان المطبوعات الجامعية، ج1، الجزائر. ب ط.
- حاجيات (عبد الحميد)، كتاب مرجعي حول تاريخ الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة، وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007.
- الخطاب (محمد شيت)، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، ط7، 1984.
- الداعي (إدريس عماد الدين)، تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب، تحقيق محمد اليعلاوي، دار العرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1985.
- دبوز (محمد علي)، تاريخ المغرب الكبير، مؤسسة تاوالت الثقافية، ط2، 2011.
- الرفاعي (أحمد)، كتامة والحضارة الفاطمية، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- روجي (الهادي إدريس)، تاريخ إفريقيا في عهد بني زيري من القرن 10 الي 12م، ترجمة حمادي الساحلي، ج2، ط1، دار العرب الإسلامي، بيروت لبنان.
- سعد (زغلول عبد الحميد)، تاريخ المغرب القديم الفاطميون وبنو زيري والصنهاجيون إلى قيام دولة المرابطين، منشأة المعارف، ج3، الإسكندرية، 1900.
- شريف (محمد سيد موسى)، مدينة بجاية الناصرية، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- الطمار (محمد)، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر. ب ط.

- العبادي (أحمد مختار)، تاريخ المغرب والأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت. ب ط.
- عنان (أحمد عبد الله)، عصر المرابطين والموحدين، مصر. ب ط.
- عويس (عبد الحليم)، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، دار الشروق، ط1، بيروت، 1980.
- الغنيمي (عبد الفتاح مقلد)، موسوعة المغرب العربي، مكتبة المديولي، القاهرة. ب ط.
- لقبال (موسى)، دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن 5 هـ - 11م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.
- المدني (أحمد توفيق)، كتاب الجزائر، دار المعارف، ط2، الجزائر، 1963.
- الميللي (مبارك محمد)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ج2، الجزائر، 1976.
- نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة النويهض الثقافية، ط2، بيروت، لبنان، 1980.

3 الرسائل الجامعية :

• بن قربة (صالح بن يوسف)، المسكوكات المغربية على عهد الموحدين والحفصيين والمرينيين خلال القرن (6-7-8هـ/12-13-14م)، أطروحة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1994-1995.

• بودواية (مبخوت)، العلاقات التجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، رسالة لنيل درجة الدكتوراه دولة في التاريخ، اشرف عبد الحميد حاجيات، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2005-2006،

• بيروم (كمال)، بلدية المسيلة المختلطة، دراسة اقتصادية واجتماعية بين 1984-1985، مذكرة ماجستير في تاريخ البحر المتوسط، إشراف حداد مصطفى، السنة الجامعية، 2005-2006.

• عميور (سكينة)، ريف المغرب الأوسط في القرنين 5 و6هـ/11 و12م، دراسة اقتصادية واجتماعية، مذكرة ماجستير في التاريخ، إشراف: د. إبراهيم بكير بحاز، السنة الجامعية، 2013 .

4 المجالات:

• جندي أنور، صلاة العصر في قلعة بني حماد، مجلة الأصالة، الجزائر، تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة، 1976.

• فاطمة بلهوارى، النشاط الرعوي في بلاد المغرب، مجلة كان التاريخية، متخصصة في البحوث والدراسات التاريخية، الجزائر، العدد 08، يونيو 2010.

5 المراجع الأجنبية:

- L. Golvin, Encyclopédie berbère, Hammadides
- Karichi Amina. La sauvegarde et Laréuti listion des monuments du système défensif de La Ville de Bejaia. Université TIZ-OUZOU.2011.

فهرس الأعلام :

حماد بن بلكين بن زيري: 2، 3، 4، 6.

المعز: 2، 3، 4، 7.

القائد بن حماد: 4.

المحسن بن القائد: 4.

بلكين بن محمد: 4.

الناصر بن علناس: 4، 5.

ابن تميم الزيري: 4.

المنصور بن الناصر: 6.

العزير بن المنصور: 6.

باديس بن المنصور: 6.

يحي بن باديس: 6، 7.

المهدي بن تومرت: 23.

فهرس الأماكن والمدن:

أشير: 2، 3، 16، 31.	الخضراء: 12، 14، 31.
ايطاليا: 33.	سطيف: 14، 31.
باغاية: 11، 31.	شرشال: 11، 12، 14، 16، 18، 19.
بجاية: 4، 5، 8، 11، 12، 13، 14، 15، 17، 18، 23، 24، 25، 26، 28، 31، 32.	شلف: 10، 15.
بسكرة: 13، 14.	طبنة: 11، 14، 16، 18.
بلاد السودان: 25، 33.	طنجة: 8.
بنووازلفن: 12، 15، 31.	طولقة: 12، 13، 14.
بونة: 11، 18، 24، 31.	الغدير: 12.
تاجنة: 14، 31.	قسنطينة: 11، 19.
تاهرت: 14، 16، 18، 19، 31.	القلعة: 2، 3، 4، 5، 11، 14، 18، 24، 26، 28، 31، 32.
تلمسان: 10، 17.	القيروان: 8.
تنس: 11، 14، 16، 19، 31، 35.	مازونة: 10.
جنوة: 33.	متيجة: 10، 11.
جيجل: 11، 12، 14، 18، 19، 26.	مرسي الخرز: 19، 27، 28.

مرسي الدجاج: 14.	مليانة: 15، 16، 31.
المسيلة: 2، 18، 19، 31، 32.	نقاوس: 12، 14.
مصر: 2، 7، 8.	المغرب الأقصى: 10
المغرب الأوسط: 1، 2، 3، 5، 7، 8،	الأندلس: 34.
9، 11، 12، 16.	

صفحة	فهرس المحتوى
.....	إهداء.....
.....	كلمة شكر:
.....	شرح المختصرات.....
01.....	مقدمة.....
09.....	مدخل.....
10.....	1. لمحة سياسية للدولة الحمادية بالمغرب الأوسط.....
14.....	2 الأوضاع الاقتصادية بالمغرب الأوسط قبيل الدولة الحمادية.....
17.....	الفصل الأول: الزراعة في الدولة الحمادية.....
18.....	الزراعة.....
19.....	1. الفلاحة.....
24.....	2 الري.....
27.....	3 تربية الحيوانات.....
29.....	4. الصيد البحري.....
30.....	الفصل الثاني : الصناعة في الدولة الحمادية.....
31.....	الصناعة.....

32.....	1. صناعة النسيج.....
34.....	2 صناعة المعادن والفخار.....
34.....	1. صناعة المعادن.....
36.....	2 صناعة الفخار.....
36.....	3 صناعات مختلفة.....
39.....	الفصل الثالث: التجارة في الدولة الحمادية.....
40.....	التجارة.....
41.....	1. أنواع التجارة.....
43.....	2 الطرق التجارية.....
45.....	3 النظم المالية والأوزان.....
45.....	1. النظم المالية.....
46.....	2 الأوزان.....
49.....	الخاتمة.....
50.....	الملاحق.....
62.....	البليوغرافيا.....
68.....	الفهارس.....

ملخص:

تعتبر الدولة الحمادية دولة بربرية صنهاجية مستقلة ظهرت بالمغرب الأوسط، فتميز عصرها بالاستقرار والازدهار في جميع الميادين، فنشطت الفلاحة والصناعة والحركة التجارية وهذا بفضل أمرائها الذين نظموها فأحسنوا تنظيمها ورتبوا فيها المصالح، فعم الترف والرخاء في معظم مدن الدولة.

الكلمات المفتاحية: الحمادية، المغرب الأوسط، الفلاحة، الصناعة، التجارة.

Résumé

L'état El Hamadia considéré comme un état berbère sanhadjia, indépendant au Maghreb central, son ère est caractérisé par la stabilité et la prospérité dans tous les domaines. Dans l'agriculture, l'industrie et le commerce développés tout cela grâce à leur princes qui les ont agencé de manière à déborder les intérêt.

Alors, le luxe et la prospérité diffusé dans la plupart des villes de l'état.

Les mots clés : El Hamadia, Maghreb central, l'agriculture, l'industrie, commerce.